مشروع تغيير

السَّيِّد هاشم السَّيِّد حسن الموسوي

ما من ارتقاء وتطوُّر إلَّا وقد مرَّا بحَلَقَاتٍ من الرَّفد والشَّحن نحو التَّغيير والتَّجديد؛ كي يصلا إلى أَوْجِهِمَا، فمثلًا حركة تطوُّر حياة الشُّعوب من مراحل الجهل، وعصور الظُّلْمة إلى عهد النُّور كان الارتقاء يحدوها عبر رافد التَّفكير الإبداعي الفِطريِّ الذي يشدُّها نحو معطيات تتوافق وطبيعةَ الحياة والمرحلة التي تعيشها، فوصلت إلى ما وصلت عليه اليوم من تقدُّم تكنولوجيٍّ على كثير من المستويات والمواقع، ولولا رافد العِلم ومعطياته التي لا تقف عند حدٍّ، وحبُّ الإنسان إلى التَّكامل والرُّقيِّ الذي أودعهما اللّٰه سبحانه في رَوْعِه لتوقَّف عند نقطة معيَّنة لا يبرحها، ولَذَوَتْ آماله وتطلُّعاته!

الدُّعاء

مشروع تغيير

السَّيِّد هاشم السَّيِّد حسن الموسوي

هُوية الكتيِّب

الاســـــــــم: الدُّعاء مشروع تغيير

الـتَّـأْلـيـف: السَّيِّد هاشم السَّيِّد حسن الموسوي

التَّدقـيق اللُّغوي: الشَّيخ حسين الطَّويل

الـطَّـبـعـة: الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

تصميم وإخراج: المركز الإعلامي - محسن الخبَّاز

بسم الله الرحمن الرحیم

الفهرس

تقديم ٧

مقدَّمة ١١

الإهداء ١٥

توطئة ١٧

مَن أُعطي الدُّعاء لم يُحرم الإجابة ٢٠

القرآن الكريم ٤٠

الموت ٤٥

القلب المحجوب ٥٢

ضعف الإنسان ٦٢

حاجة الإنسان بين العطاء الإلهيِّ والعطاء الإنسانيِّ ٧٠

الهروب من الله وإلى الله ٧٨

النَّار غضب الجبَّار ٨٤

المرض حينما يكون لطفًا ٩٣

اللُّطف الإلهي في توفيق المطيعين وإمهال العاصين ١٠٠

الخلوة والرَّقابة الاجتماعيَّة ١٠٧
الاستعاذة من الشيطان ١١٤
الخير والاختيار واتّخاذ القرار ١٢٤
الاستغفار ١٣٤
الاعتذار أنواعه ونتائجه ١٤٧
البكاء ١٥٩
الذِّكر اللفظي والذِّكر القلبي والعملي ١٧٠
الصَّلاة على محمَّد وآل محمَّد ١٨١
حقيقة السَّعادة ١٩٣
المستقبل الأخرويُّ للأسرة ٢٠٣
السُّجود ٢٠٧
الأمان في مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام ٢١٣
تأملات في دعاء رجب ٢١٧
علاقتنا بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء أهل البيت عليهم السلام ٢٢١
الخاتمة ٢٢٦
المصادر والمراجع ٢٢٩

تقديم

إنَّ حركـة التَّطـوُّر والارتقاء تحتاج دائمًا إلى رافد ينير لهـا الطَّريق، ويُجلِي لها ظلام الأيَّام.

فمـا مِن ارتقاء وتطـوُّر إلَّا وقد مرَّا بِحَلَقَاتٍ من الرَّفد والشَّـحن نحو التَّغيير والتَّجديـد؛ كـي يصـلا إلى أَوْجِهِمَا، فمثـلًا حركة تطوُّر حياة الشُّـعوب من مراحل الجهل، وعصـور الظُّلْمـة إلى عهد النُّـور كان الارتقاء يحدوها عبر رافد التَّفكير الإبداعي الفِطريِّ الذي يشـدُّها نحـو معطيات تتوافق وطبيعةَ الحياة والمرحلة التي تعيشـها، فوصـلت إلى ما وصـلت إليـه اليوم من تقدُّم تكنولوجيٍّ على كثير من المستويات والمواقع، ولولا رافد العِلم ومعطياته التي لا تقف عند حدٍّ، وحبُّ الإنسان إلى التَّكامل والرُّقيِّ الذي أودعهما الله سبحانه في رَوْعِـه لتوقَّف عند نقطة معيَّنة لا يبرحها، ولَذَوَتْ آماله وتطلُّعاته! وكذلك هو الإنسـان نفسـه الذي انغمس في لَهَوَات هذه الحياة، وضـلَّ في أيَّامها، أو ذاك الـذي أبصـر الحقيقة منذ فجر عمره وخَشِـيَ من طـول الطَّريق وبُعد السَّـفر أنْ لا يبقـى على العهـد كما كان، فما لهما من مُنْجٍ إلَّا شَـحْذ الهِمم، والتَّمسك بِعُرى الدُّعاء، هذا الزَّاد الذي لا ينضب، والطَّريق الذي لا يعطب!

إنَّ عطاء الدُّعاء عطاءٌ ربَّانيٌّ يسـمو ويثمر كلَّما تمسَّـك به الإنسـان، وَأَخَذَه

من منابعه الصَّافية التي لا يشوبها كَدَر، فهذه المنابع والأصول الطَّاهرة هي الضَّمانة الأكيدة على استجابة الدُّعاء عندما يأتي وفق شروط ضمانها.

فأصـول الدُّعاء الصَّافية هم أهل البيت عليهم السلام وحدَهم الَّذين هم بلا مُنازِع منبع العِلم، وروافد المعرفة، ومستودع الأسرار الإلهيَّة، وما جاء عن طريقهم هو عين الرَّحمة السَّماويَّة التي امتدَّت للبشريَّة بلا مقابل!

وهـم الذين كانوا هـداة الطَّريق، وسُـبُل السَّـلام والأمان، كما أنَّهم سُـرج الظَّلام البهيم، والنُّجوم التي يُهتدى بها في اللُّجَج الغامرة، ومشاعل الدَّرب، ومهندسـو النُّفوس نحو محراب العبادة بالصَّـلاة التي هي معراج المؤمنين، وبالدُّعاء الذي هو زاد العاشقين.

لقد كان من ضـمن منهجهم عليهم السلام هو الأخذ بالنُّفوس إلى واحة من واحات القُرب الإلهيِّ، وصـناعتها في خطٍّ مصبِّ الرَّحمة والعناية الرَّبَّانيَّتين، فكان الدُّعاء حِلية الأولياء، وما زبور آل محمَّد صلى الله عليه وآله، تلك الصَّحيفة السَّجَّاديَّة، وغيرهـا من روافدهم عليهم السلام سـوى مظهر من مظاهر تلـك الرَّحمة الإلهيَّة التي جرت على أيديهم؛ من أجل إنسـان ضـلَّ الطَّريق، وآخر خَشِي السُّقوط في حِبال السِّنين.

إنَّ الدُّعاء بلا ريب هو مشروع تأصيل وتغيير.

هو تأصـيل للمبادئ، ومعرفة لطُرق الوِصـال السَّـامي، ومناجـاة لا تحدُّها حدود.

وهو منهج تغيير، وصناعة نفس، واستعانة على صروف الحياة، واتِّصال بحبل متين ممدود.

ومن هنا جاء اختيار هذا الإصدار (الدُّعاء مشروع تغيير) لسماحة السَّيِّد هاشم الموسوي؛ ليكون ضمن منشورات المجلس الإسلاميِّ العلمائيِّ، حيث يسلِّط الضَّوء على جوانب من آلاء الدُّعاء في تراث أهل البيت عليهم السلام بلغة تتَّسم بشفافيَّة اللَّفظ، وسمو المعنى.

المجلس الإسلاميّ العلمائيّ
دائرة الكتابة والتَّأليف
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

مقدَّمة

منذ أن كنت صغيرًا مع أقراني وأترابي كنَّا جميعا نستمع في ليالي الجُمع إلى دعاء كميل في المساجد بعد صلاة المغرب، كما كنا نستمع إلى دعاء الافتتاح، وأبي حمزة، ودعاء السَّحر وسائر الأدعية في الحسينيَّات، ومن خلال أشرطة الكاسيت والإذاعة، وكنا نشعر بجوٍّ روحاني وتأثير ساحر لأدعية أهل البيت عليهم السلام.

كما أتذكَّر أنَّ أحد أساتذتي المحترمين - وهو اليوم من علماء البحرين - قد درَّسني في صغري فقرة من فقرات دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام، وهي: «اللَّهمَّ، صلِّ على محمَّد وآله، وسدِّدني لأنْ أعارض مَن غشَّني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي مَن اغتابني إلى حسن الذِّكر، وأنْ أجزي الحسنة، وأغضي عن السيئة».

وكم تمنّيت أن يقوم المختصّون بإعداد منهج دراسي أخلاقي يعتمد في مادته على دعاء أهل البيت عليهم السلام، ولا زلتُ أرجو أن تتحقّق هذه الأمنية.

وعندما أصدرت جمعيَّة التَّوعية الإسلامية «مجلة التوعية» الشهرية طُلِب منِّي أنْ أكتب مقالًا شهريًّا، فكانت رغبتي أن أكتب مقالات موضوعيَّة في

دعاء أهل البيت عليهم السلام، على غرار التفسير الموضوعي للقرآن، مع الإشارة إلى أنني كنت محكومًا بمساحة معيّنة من هذه المجلة، فلم تكن المقالات استقصائية، وإنما كانت تحاول أن تعالج بعض المواضيع من خلال بعض الفقرات، وتستفيد من أطروحات الأدعية، فكان أوّل ما كتبت موضوع «الطموح الروحي»، وقد اقترح عليَّ بعض الإخوة أنْ أجمع هذه المقالات في كتيِّب، فاستحسنت الفكرة؛ من أجل أن تعمّ الفائدة، فأصدرتها في كتيب أسميته (من قطوف الدعاء)، وكان ذلك عام ٢٠٠٦ م، فأحسست بلطفٍ إلهيٍّ لتوفيقي في إصداره، فشكرت الله على هذا التوفيق، وقد شجّعني بعض الإخوة على الاستمرار في الكتابة في شرح الأدعية على المنوال الذي كتبته ففعلت، وكنت أشعر بالسرور والراحة عندما يقول لي أخٌ من إخوتي أنه قرأ الكتاب، واستفاد من نصوصه أو شروحه، وهذا ما دفعني إلى الاستمرار في الكتابة، فأضفت على العشرين مقالًا التي نشرت في الطبعة السابقة بعض المقالات، بعضها نُشر في بعض المجلات الإسلاميَّة، وبعضها لم ينشر، وهي: (الاستغفار، الاعتذار، البكاء، الدنيا، الصلاة على محمّد وآل محمّد، السعادة، السجود، المستقبل الأخروي للأسرة، علاقتنا بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، تأملات في دعاء رجب، الأمان في مناجاة أمير المؤمنين في مسجد الكوفة)، فزاد حجم الكتيّب إلى الضعف.

كما أنني جعلت مصادر الآيات والأدعية والأحاديث في الهامش بدلًا من التوثيق في النصِّ في الطبعة السابقة، وأجريت بعض التعديلات البسيطة

على المواضيع التي نشرت في الطبعة السابقة.

وبعد إجراء هذه التغييرات غيَّرت اسمه بعد الإضافات إلى (الدعاء مشروع تغيير)، وذلك لأنَّ البعض كان يتوقَّع من الاسم الأوّل (من قطوف الدعاء) أنه نصوص أدعية فحسب، فلذلك ارتأيت أن أغيّر اسمه؛ لكي يدلّ الاسم على المسمّى بصورة أوضح.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى المجلس الإسلامي العلمائي الذي تفضل مشكورًا بطباعة هذا الكتيِّب، وإلى دائرة الكتابة والتأليف في المجلس الإسلامي العلمائي التي راجعت الكتاب، وطرحت بعض الاقتراحات المهمَّة، كما أشكر أخي وصديقي السيد حسن السيد علوي الموسوي الدرازي الذي أعانني على توثيق بعض نصوص الأدعية، والأحاديث الشريفة.

نسأل الله تعالى أن يتقبّل منَّا، وأن ينفعنا بدعاءِ أهل البيت عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين.

السيد هاشم السيد حسن الموسوي

١١ سبتمبر ٢٠١٣ م - البحرين

الإهداء

إلى الإمـام زيـن العابديـن، وسـيِّد
السَّـــاجـدين، ومـقـتدى الزَّاهدين
الإمام علي بن الحسـين السَّـجَّاد عليه السلام
أهدي هذا الجهد المتواضع.

السَّيِّد هاشم الموسوي

توطئة

لماذا البحث الموضوعي في شرح الأدعية؟

الدُّعاء شأنه شأن القرآن الكريم من حيث إنَّه يحتوي على العديد من الموضوعات المتنوِّعة، فكما أنَّ السورة الواحدة تتضمَّن العديد من الموضوعات، كذلك الدعاء الواحد يتضمَّن العديد من الموضوعات.

ساد التفسير الترتيبي للقرآن الكريم - ونعني به تفسير سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران ...، أو تفسير الآية الأولى، ثُمَّ الثانية إلى الأخيرة -، وهذا النوع من التفسير هو السَّائد على مرِّ الزمان.

وهناك التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - ونعني به التفسير الذي يبحث في نظرة القرآن الكريم لموضوع معيَّن، ويدرس كلَّ الآيات المتعلّقة بهذا الموضوع، ثم يخرج بنظرة قرآنيَّة متكاملة لهذا الموضوع، مثلًا يتمُّ جمع جميع الآيات التي تتكلم عن الشفاعة، ثم يتم وضعها تحت مجهر الدراسة، ثم يتمُّ الخروج بنتائج معيّنة من خلال البحث بين علاقة الآيات ببعضها البعض - حيث إنَّ القرآن يفسِّر بعضه بعضًا.

تم إغفال التفسير الموضوعي مع أن بوادر ظهوره كانت منذ زمن الأئمَّة عليهم السلام ولكنه ما نمى نموًّا كاملًا، وفي العقود الأخيرة ظهرت دراسات

في التفسير الموضوعي تمثّل بدايات لهذا التفسير، وأصبح الاهتمام به أكثر من ذي قبل.

الدعوة إلى الاهتمام بالتفسير الموضوعي لا يعني التقليل من شأن التفسير الترتيبي؛ لأنَّ لكل من هذين النوعين من التفسير مزاياه ومنافعه، ومن يريد أن يتوسّع في الاطّلاع على التفسير الموضوعي عليه مراجعة مقدمة كتاب (نفحات القرآن) لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

بعد هذه المقدمة أود الإشارة إلى أن جميع شروح الأدعية التي رأيتها كانت تشرح الدعاء شرحًا ترتيبيًّا على غرار التفسير الترتيبي، فهناك العديد من الشروح القيّمة للصحيفة السجادية، وهناك شروح تهتم بشرح دعاء معيّن كشرح دعاء الافتتاح، أو دعاء كميل، أو دعاء أبي حمزة، وكلها شروح ترتيبية، ومن هنا بدأت فكرة البحوث الموضوعية في دعاء أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك من أجل الإجابة على سؤال وهو: ما النظرة التي يتبنَّاها الدُّعاء للموضوع المراد دراسته؟، مثلًا: ما نظرة الدُّعاء للموت؟، فإنَّنا نحتاج للإجابة عن هذا السؤال إلى فقرة من دعاء كميل، وأخرى من الصحيفة السجادية، وثالثة من دعاء الافتتاح، ورابعة من الجوشن الكبير، وهكذا، ثم نضع هذه الفقرات في موضوع معيّن ونحاول أن نخرج بنتائج؛ لأن بعض الفقرات تتعلّق بفقرات أخرى من حيث بيان أسباب ونتائج وآثار وروابط تكون مفيدة لمن يريد معرفة نظرة الدعاء لموضوع معيّن.

من هنا نستطيع أن نقول: إنَّ الدعاء يفسّر بعضه بعضًا كما أن القرآن يفسّر بعضه بعضًا.

وأتمنى أن يقوم المختصــون بدراســة الأدعية دراسة موضوعية خصوصًا مع توفّر المعجم المفهرس للصحيفة السجادية ممَّا يوفّر الجهد والوقت، وكذلك الاستفادة من وســائل النشر الالكترونية الحديثة التي تتيح للباحث الوصول إلى المعلومة بسهولة ويسر.

كما أتمنّى من الإخوة الذين يقرأونها أن لا يبخلوا عليَّ بالنقد والتوجيه.

والله وليّ التوفيق.

مَن أُعطي الدُّعاء لم يُحرم الإجابة

إذا وفّقنا الله لحضور مجلس من مجالس الذِّكر، فأوّل ما ينبغي علينا أن نفعله هو أن نشكر الله تعالى على هذا التوفيق.

ليس كلُّ شخص يتوفّق لحضور مجالس الذِّكر (المساجد، والحسينيات، وأمسيات القرآن والدُّعاء، ...)-، ففي الوقت الذي تقضي فيه ساعاتك في الذِّكر هناك مَن يعزف على أنغام إبليس، ويرقص على إيقاعات نار البعد عن الله، ويغرق في بحور الغفلة، ويستنشق روائح الآثام، ويقود زمامه الشيطان، كالحمار الذي لا يملك لنفسه إرادة، ولا يستطيع أن يتّخذ قرارًا-، فلنحمد الله على هذه النعمة.

بشراكم يا إخواني،

أحد الإيرانيين كان يقرأ الدعاء، وبين مقاطعه توقّف وخاطب المستمعين قائلًا: «أنا في هذه الليلة عندي لكم بشرى، أنا أبشِّركم أن الله قد غفر لكم جميعًا، ولو كان الله لا يريد أن يغفر لكم لما جمعكم في هذا المكان لقراءة دعاء كميل، لو كان لا يريد أن يغفر كم للهاكم بأمور الدنيا وانصرفتم عن هذا المكان، وبما أنه قد جمعكم في هذا المكان، فإنه يريد أن يغفر لكم ويستجيب لكم»، انتهى كلامه.

وأنا أقول: لا أحد يستطيع أن يفرض على الله شيئًا، فله الأمر كله، ولكن هذا الكلام يأتي في سياق حسن الظنِّ بالله تعالى.

توفيق الطَّاعة

ورد في دعاء الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «اللَّهمَّ، ارزقنا توفيق الطاعة».[1]

الطاعة مهما كانت صعبة وشاقّة وقاسية وثقيلة على النفس، فإن التوفيق لها أمر مهم.

أحد المراجع العظام كان له أبٌ مقعد، ولم يكن في زمانه كرسيّ متحرّك، فكان يحمله على ظهره، ويتنقل به من مكان إلى آخر، ويحممه، ويطعمه.

وتعرفون الإنسان كيف يصير إذا وصل إلى أرذل العمر!

لما مات والده، بكى بكاءً شديدًا، فقال له مرافقوه: يا سماحة المرجع، أنت لم تقصِّر مع أبيك، وقد استراح من الدنيا بعد هذا العناء الطويل!

فقال: «نعم، ولكني حرمت توفيقًا كنت أتمتَّع به، وهو التوفيق لبرِّ والدي، الآن لا والد لي؛ لكي أبرّه، فأنا محروم من هذه الطاعة».

سبحان الله!، كيف يفكّر هؤلاء، وفي أي عالم يعيشون، ونحن في أي عالم نعيش؟

١- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص١٦٣.

بُعد المعصية

بعدنا عن المعصية هو الذي يجعلنا نُوفَّق للطاعة، وارتكابنا للمعاصي يمنعنا من التوفيق للطاعة، عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنه قال: «إنّ الرَّجل يذنب الذَّنْب فيُحرم صلاة الليل، وإنَّ العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكّين في اللّحم».[١]

ارتكابنا للذنوب يحرمنا من التوفيق للطاعة، ورد في كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي دعاء يحسن القنوت به وهو: «اللهم، إن كثرة الذنوب تكف أيدينا عن انبساطها إليك بالسؤال، والمداومة على المعاصي تمنعنا عن التضرع والابتهال، والرجاء يحثنا على سؤالك يا ذا الجلال والإكرام، فإن لم يعطف السيد على عبده فممن يبتغي النوال، فلا ترد أكفنا المتضرعة إليك إلا ببلوغ الآمال، وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين».[٢]

التَّوفيق للدُّعاء فوز بحدِّ ذاته

إذا وفّقك الله للدعاء، فهذا فوز وإنجاز بحدّ ذاته، سواءً استجاب لك، أم أخّر الاستجابة، أم لم يستجب، المهم أنَّك توفّقت للدعاء، وقد ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «مَن أُعطى أربعًا لم يُحرم أربعًا: مَن أُعطي

١- الكافي، ٢/٢٧٢.

٢- مفتاح الفلاح، ص٦٩٦.

الدُّعاء لم يُحرم الإجابة، ومَن أُعطي الاستغفار لم يُحرم التوبة، ومَن أُعطي الشُّكر لم يُحرم الزيادة، ومَن أُعطي الصبر لم يُحرم الأجر».[١]

إذًا، التوفيق للدعاء مؤشّر على رضا الله تعالى، وشكر هذه النعمة - أعني نعمة التوفيق للدعاء - يؤدي بالإنسان إلى الزيادة؛ لأن مَن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة، ومَن أعطي التوبة لم يحرم القبول ولو كان الله غاضب عليه لما وفّقه للتوبة، وتوبته تفتح له أبواب الاستجابة؛ لأن الله يحبّ التوّابين ويحبّ المستغفرين، ومَن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة، فلذلك نحن ندعو الله تعالى، فنقول كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في الدعاء الذي كان يدعو به في كل يوم من شهر رجب: «ولا تجعلني من الغافلين المبعدين»[٢]؛ لأن الغفلة هي التي تحرمنا من كل هذه الألطاف الإلهية.

«الأنا» الفرعونية، و«الأنا» الاعترافية

«الأنا» التي نحذرها، و«الأنا» التي نحتاجها، هناك (أنا) يحذِّرُ منها الأنبياء عليهم السلام، ويحْذَرُها العقلاء، ويخافُ منها الأولياءُ، وهي (أنا) فرعون حين قال: ﴿... قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[٣]، وهناك (أنا) أقلُّ وطأة من الـ(أنا) الفرعونية، ومع ذلك ورد التحذير منها، فمَن قال: (أنا) هلك، ولذلك ينبغي

١- الخصال، ص٢٠٢، معاني الأخبار ص٣٢٤.
٢- الإقبال، ٣/٢٠٩.
٣- سورة النازعات: الآية ٢٤.

أن يقـول أحدنا: (أنا وأعوذ بالله من كلمة أنا) لما لهذه الكلمة من خطر بالغ على عمل الإنسان ومصيره.

وهناك في دعاء أهل البيت عليهم السلام (أنا) أخرى سـمّيتها الـ(أنا) الاعترافية، وهـي الـ(أنا) التي تضـع الـدواء على الـداء، وتبحث عن الجـرح؛ لإيقاف النزيف، وهذا ما لا يفعله الكثيرون.

وإنَّ من أصـعب الأمور على الإنسـان نقد ذاته، فهو بطبيعته لا يتّهم نفسـه، ولا يلومها.

الاعتراف بماذا؟

الاعتراف الوارد في أدعيتهم عليهم السلام يركّز على أمور رئيسة، هي:

- الاعـتراف بضَـعفِ الإنسـان وجهله وفقـره، واحتياجـه إلى الله في كلِّ الأمور والأحوال.
- الاعـتراف بالذنـوب العمدية والسـهوية، والذنـوب التي تسـبق التوبة، والذنوب التي تلي التوبة أي الذنوب التي يرجع الإنسان إليها بعد التوبة.
- الاعـتراف بالنِّعـم المادية والمعنويـة التي أنعـم الله بها على الإنسـان، والعجز عن شكرها.
- الاعـتراف بجرأة الإنسـان على عصـيان ربّه، وتضـييعه لفرص التوبة والعودة.

وستجد عزيزي القارئ هذه الأمور في نصوص الأدعية التالية:

«الأنا» الاعترافية خطوة لا بدَّ منها

يقول الإمام الحسين عليه السلام: «أنا الذي أسَأتُ، أنا الذي أخْطأتُ، أنا الذي هَمَمْتُ، أنا الذي جَهلتُ، أنا الذي غَفلتُ، أنا الذي سَهَوْتُ، أنا الذي اعتمدْتُ، أنا الذي تعمَّدْتُ، أنا الذي وَعَدْتُ، وأنا الذي أخلَفْتُ، أنا الذي نكثتُ، أنا الذي أقررتُ، أنا الذي اعترفتُ بنعمِكَ عليَّ وعندي وأبوءُ بذنوبي فاغفرها لي ...».[١]

وقبل هذه الفقرة ذَكَر الإمام الحسين عليه السلام في الدعاء نفسه عبارات مقابلة لهذه العبارات، وهي عبارات تثني على الله، وتشكره، وتحمده يقول عليه السلام: «أنتَ الذي مننتَ، أنتَ الذي أنعمتَ، أنتَ الذي أحسنتَ ...»، ويعدِّد عليه السلام أكثر من عشرين فعلًا من هذه الأفعال الإلهية التي منَّ الله بها على خلقه.

وفي فقرة أخرى من هذا الدعاء يقول عليه السلام: «إلهي، أنا الفقيرُ في غناي، فكيفَ لا أكونُ فقيرًا في فقري؟

إلهي أنا الجاهلُ في علمي، فكيفَ لا أكون جهولاً في جهلي»؟[٢]

الأنا الاعترافية بين النعم الإلهية، وتقصير العبد وجرأته على ربّه: دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام المعروف بدعاء «أبي حمزة الثمالي» يحلق بنا في أجواء الـ (أنا) الاعترافية التي يعدد فيها الإمام عليه السلام العديد من النِّعم المادية والمعنوية، ثم الإقرار بالذنوب، فيقول عليه السلام: «أنا الصغيرُ الذي ربّيتهُ،

١- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، ص٣٣٤.

٢- المصدر السابق.

وأنا الجاهلُ الذي علَّمتهُ، وأنا الضالّ الذي هديتهُ، وأنا الوضيعُ الذي رفعتهُ، وأنــا الخائفُ الذي آمنتهُ، والجائعُ الذي أشــبعتهُ، والعطشــانُ الذي أرويتهُ، والعاري الذي كســوتهُ، والفقيرُ الذي أغنيتهُ، والضعيفُ الذي قوَّيتهُ، والذليلُ الذي أعززتهُ، والســقيمُ الذي شــفيتهُ، والسائلُ الذي أعطيتهُ، والمذنبُ الذي ســترتهُ، والخاطئُ الذي أقلتــهُ، وأنا القليلُ الذي كثَّرتهُ، والمستضــعفُ الذي نصرتهُ، وأنا الطريدُ الذي آويتهُ.

أنا يا ربِّ، الذي لم أستحيكَ في الخلاء، ولم أراقبك في الملاء.

أنا صاحبُ الدواهي العظمى.

أنا الذي على سيدِهِ اجترأ.

أنا الذي عصيتُ جبارَ السماء.

أنا الذي أعطيتُ على معاصي الجليل الرشى.

أنا الذي حين بُشرتُ بها خرجتُ إليها أسعى.

أنا الذي أمهلتني فما ارعويتُ، وسترتَ عليَّ فما استحييتُ، وعملتُ بالمعاصي فتعديتُ، وأسقطني من عينكَ فما باليت».[١] ويقول الإمام السجاد عليه السلام في دعائــه: «أنا الذي أوقرتِ الخطايا ظهــرَهُ، أنا الذي أفنتِ الذنوبُ عمرَهُ، وأنا الذي بجهلِهِ عَصَاك، ولم تكنْ أهلاً منهُ لذاك».[٢]

١- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٥.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام إذا تضرّع في طلب التوبة، ص٨٣.

الأنا الاعترافية وسيلتنا للرحمة الإلهية

ويقـول الإمام السـجاد عليه السلام في نفس الدعاء: «بل أنا يـا إلهي، أكثرُ ذنوبًا، وأقبـحُ آثارًا، وأشـنع أفعالًا، وأشـدُّ في الباطلِ تهوّرًا، وأضـعفُ عند طاعتِكَ تيقّظًـا، وأقـلّ لوعيدِك انتباها وارتقابًا من أن أحصـي لـكَ عيوبي، أو أقدر على ذكرِ ذنوبي، وإنما أوبخُ بهذا نفسـي طمعًا في رأفتك التي بها صَلاحُ أمرِ المذنبين، ورجاءً لرحمتك التي بها فكاكُ رقابِ الخاطئين».[١]

وقـال الإمام علي عليه السلام: «وإنْ كانَ قدْ دَنَا أجَلي، ولمْ يدنني مِنكَ عَمَلي، فقدْ جعلتُ الإقرارَ الذنبِ إليكَ وَسِيلتي».[٢]

الأنا الاعترافية مقدمة ضرورية للتوبة

الـ (أنـا) الاعترافية هي المقدمـة الطبيعية للتوبـة، ولا يمكن للإنسـان أن يتوب من دون أن يعترف بذنوبه، يقول الإمام السـجاد عليه السلام: «وصِّـيرنا إلى محبوبِـكَ من التوبـة، وأزلنا عن مكروهِك من الإصـرار»[٣]؛ لأن الشـخص الذي يصـرّ على المعصـية لا يمكنه أن يعيش في أجواء الـ (أنا) الاعترافية، فلـو عاش فرعونُ فقرةً واحدةً فقط من فقرات دعاء الإمام الحسـين عليه السلام في عرفـة، أو دعاء زيـن العابدين عليه السلام المعروف بدعـاء أبي حمزة الثمالي

١- المصدر السابق، ص٨٥.

٢- مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين علي عليه السلام، ص٢٠٩.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله (جلّ جلاله)، ص٦٣.

لما تفوّه بالـ(أنا الفرعونية) أبدًا، إذ تعتبر الغفلة من الأسباب الرئيسة في تعطيل فاعلية (الأنا) الاعترافية.

الاعتراف حيث لا مفزع إلّا إلى الله

وقال الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل مستخدمًا مرادفات الاعتراف والأمور المتعلقة به: «وقد أتيتكَ يا إلهي، بعدَ تقصيري وإسرافي على نفسي مُعْتذرًا نادمًا مستقيلًا مستغفرًا مُنيبًا مُقرًّا مُذعنًا مُعترفًا، لا أجدُ مفرًّا ممَّا كانَ منّي، ولا مَفزَعًا أتوجّهُ إليهِ في أمْري غيرَ قَبولِكَ عُذري، وإدخالِكَ إيّاي في سعةٍ من رحمتِك».[١]

الأنا الاعترافية قرينة الضعف والذل

كيف يقف هذا المسكين الذي لا يقاوم أذى البعوضة والفيروس الصغير أمام تلك النار التي سجَّرها جبَّارها لغضبه؟

يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: «فكيفَ احتمالي لبلاء الآخرةِ، وجليلِ وقوعِ المكارهِ فيها، وهو بلاءٌ تطولُ مدَّته، ويدومُ مقامُهُ، ولا يُخفَّفُ عن أهلِهِ، لأنَّهُ لا يكونُ إلّا عن غضبِكَ، وانتقامِكَ، وسخطِك، وهذا ما لا تقومُ له السماواتُ والأرض يا سيدي، فكيفَ بي وأنا عبدكَ الضعيف المسكين المستكين».[٢]

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام، ص٩٧.

٢- المصدر السابق، ص٩٨.

الأنا الاعترافية وقَبول النَّصيحة

هنـاك عيـوب في النفـس لا يدركها الإنسـان، فليس الاعـتراف كافيًا لعلاج العيوب، وإنما يحتاج الإنسـان إلى إرشـاد المرشـدين، ونصـح الناصـحين، وقَبول هذه النصيحة؛ من أجل علاج الذنوب، وتصحيح العيوب.

وقديمًا قيل: «إنَّ عيوب الإنسان مثل السلة المعلَّقة على ظهره، يراها غيره ولا يراها هو»، وفي هذا الصدد يقول الإمام السجاد عليه السلام: «ووّفقني لطاعةِ من سدَّدَني، ومتابعة مَنْ أرشدني.

اللَّهـمَّ، صـلِّ علـى محمـد وآل محمـد، وَسَـدِّدْنِي لأنْ أعارضَ مَنْ غشَّـني بالنصح...».[١]

الطموح الروحي

قـال تعالى: ﴿وَالَّذِيـنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَـا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَـا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.[٢]

الطموح لغة

«طمحت المرأة تطمح طماحًا، وهي طامح، نشزت ببعلها، وطمحت المرأة مثل جمحـت، فهي طامح، أي تطمح إلى الرجال. وفي حديث قيلة: كنت إذا رأيت رجلًا ذا قشر طمح بصري إليه أي امتد وعلا.

١- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٨.

٢- سورة الفرقان: ٧٤.

والطامح من النساء التي تبغض زوجها، وتنظر إلى غيره.

وأطمح فلان بصره: رفعه.

ورجل طمَّاح: بعيد الطرف، وطمح نظره إلى الشَّيء أي ارتفع».[١]

مَن استوى يوماه فهو مغبون

لو رجعنا إلى الآية الكريمة التي افتتحنا بها مقالنا هذا لاستنتجنا أن القرآن الكريم يريد من الإنسان المؤمن أن يكون إمامًا للمؤمنين، وأن يكون في طليعة الذين يدعون إلى الله.

ومن هنا لا ينبغي للمؤمن أن يرضى لنفسه أن يكون مؤمنًا عاديًا ليس له أيُّ دور، أو فاعلية، أو نشاط في مجتمعه، بل ينبغي أن يطوِّر نفسه في كلِّ يوم بل في كل ساعة.

ومن هنا نفهم ماذا يعني الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: «مَن استوى يوماه فهو مغبون، ومَن كان آخر يوميه شرّهما فهو ملعون، ومَن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان، ومَن كان إلى النقصان، فالموت خير له من الحياة».[٢]

ونفهم ما ورد في الدعاء: «وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك».[٣]

١- لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص٥٣٤.

٢- معاني الأخبار ص٣٤٢.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٤.

الطموح بين الدنيا والآخرة

على المستوى الدنيوي، هناك طموح يتعدّد في أشكاله وأنواعه بين الشهرة والجاه والحصول على المناصب الإدارية والرئاسية وغيرها، وأصحاب الهمّة العالية في هذا المجال هم الذين يصلون إلى طموحاتهم، ويلبّون رغباتهم كلما سنحت لهم الفرصة.

أما على المستوى الأخروي والمعنوي، فالأمر كذلك أيضًا، ففي معنى الطموح اللغوي ذكرنا أن المرأة الطامح هي المرأة التي تبغض زوجها، وتنظر إلى غيره، وهكذا ينبغي على المؤمن ألا يرضى عن نفسه، وعن مستواه، وينظر إلى الدرجات العالية التي لم يصل إليها، وهذا سلَّمٌ مفتوح للصعود، ولا سقف له.

أحسن الأعمال من أحسن العبيد

هنا نستعرض بعض النصوص الدالّة على ما ذكرنا، إذ ورد في دعاء كميل ين زياد عن الإمام علي عليه السلام: «واجعلني من أحسنِ عبيدِكَ نصيبًا عندَكَ، وأقربِهم منزلةً منك، وأخصّهم زلفةً لديك».[1]

واضح أنَّ الإمام يريد من قارئ الدعاء أن يبذل جهده ويفني حياته؛ من أجل أن يصل إلى أقرب الدرجات من الله سبحانه وتعالى.

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص١٠١.

وفي هذا المجال نلتقي بنص آخر حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهمَّ، صلِّ على محمد وآل محمد، وبلغ بإيماني أكملَ الإيمان، واجعلْ يقيني أفضلَ اليقين، وانتهِ بنيّتي إلى أحسنِ النيّات، وبعملي إلى أحسن الأعمال».[١]

دلالة صيغة أفعل التَّفضيل

ولو لاحظنا ما تكرّر من أفعل التفضيل في الدعاءين المذكورين (أحسن، وأقربهم، وأخصّهم) في دعاء كميل، و(أكمل، وأفضل، وأحسن) في دعاء مكارم الأخلاق؛ لتبيّن لنا أن الأئمة عليهم السلام يريدون من المؤمن أن يرتقي في درجات الإيمان، وأن يستثمر كل لحظة وفرصة ودرهم وطاقة؛ من أجل الوصول إلى أقرب درجات القرب الإلهي التي يستطيع الوصول إليها.

وهذا ما أكّده الإمام الصادق عليه السلام حينما قال: «ليس منَّا ولا كرامة من كان في مصر - أي بلد - فيه مائة ألفٍ، أو يزيدون، وكان في ذلك المصر من أحد أورع منه».[٢]

من هنا نستشعر حجم المسؤولية التي ألقاها القرآن الكريم والنبيّ وآله علينا، وما ينبغي علينا فعله؛ من أجل الوصول إلى أرفع الدرجات.

١- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٦.

٢- أصول الكافي ج٢، ص٧٨.

خطوات؛ لتحقيق الطموح الروحي

وهنــا لا بأس بعرض بعض الحلــول العملية؛ لتحريك الطمــوح الروحي عند المؤمن:

١- أنْ يكون المؤمن مصداقًا لقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: «أسألك بحقّك، وقدسك، وأعظم صفاتك، وأسمائك أن تجعل أوقاتي في الليل والنهار بذِكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة».[١]

٢- أنْ لا يرضــى الإنسان بمستواه الروحي، ولا يرضى عن نفسه، فإن الإمام عليًّا عليه السلام يقول: «إن النفس لأمارة بالســوء والفحشاء، فمن ائتمنها خانته، ومن استنام إليها أهلكته، ومَن رضي عنها أوردته شرّ الموراد».[٢]

٣- الاقتداء بالصالحين من خلال دراسة شخصياتهم ومواقفهم، والاطلاع على أســاليبهم في مواجهة النفس والهوى والشــيطان، وهي الأمور التي تعيق تصعيد الطموح الروحي.

٤- التفكّــر في ثواب الجنّة، وعقاب النار، وفي العبر التي في الدنيا من هلاك الظالمــين، وفناء ملكهم حيث اســتدرجتهم نفوســهم وشــياطينهم إلى وحل الدنيا، والابتعاد عن الله تعالى.

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص١٠٠.

٢- عيون الحكم والمواعظ ص١٥١ .

الظلم

المتتبِّـع لدعاء أهل البيـت عليهم السلام يلاحظ أن الظلم مطـروح في هذه الأدعية الشريفة على خمسة أقسام، هي:

أوّلًا: ظلم الإنسان لنفسه

ويتمثل في ارتكاب المعاصي والسيّئات، والجرأة على الله في السرّ والعلن، كما يشـمل تضـييع الأوقات، وإهدار الطاقات، وبذل الأموال فيما لا يرضـي الله تعالى، وكل هذه المعاني يستحضـرها الإنسـان المؤمن وهـو يردّد كلمتين من دعاء كميل في ليالي الجمعة: «ظلمتُ نفسي».[١]

وترديد هاتين الكلمتين يجعل الإنسان يستغرق في أجواء الندم على التفريط في حياته، إذ تزوّد هاتان الكلمتان الإنسـان المؤمن بطاقة روحية تجعله أكثر استقامةً في حياته المستقبلية.

وليسـ بعيدًا عن هـذه الأجواء يقول الإمـام السـجاد عليه السلام: «أدعوكَ دعاءَ من ضَـعُفتْ وسـيلتُه، وانقطعتْ حيلتُه، واقتربَ أجلهُ، وتدانى في الدنيا أملُه، واشـتدَّتْ إلى رحمتـك فاقتُه، وعظُمَـتْ لتفريطِهِ وَحَسْـرتُه، وكثُـرتْ زلَّتُهُ وعثرتُه، وخلُصتْ لوجهِكَ توبتُهُ».[٢]

فالإمام بعد التأنيب الشديد للنفس يفتح أمامها باب التوبة «وخلُصت لوجهك

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٧.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء يوم الأربعاء، ص٢٨٦.

توبته» حتى لا يقع الإنسان في فخِّ اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى.

وفي موضع آخر يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأعوذ به من شرِّ نفسي، إنَّ النفسَ لأمَّارةٌ بالسوء إلا ما رحم ربّي».[١]

وأعدى أعداء الإنسان هي نفسه التي بين جنبيه كما تشير إلى ذلك روايات أهل البيت عليهم السلام.

ثانيًا: ظلم الإنسان للآخرين

تربّينا أدعية أهل البيت عليهم السلام على الحذر من ظلم الآخرين، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إذا اعتُدي عليه: «اللَّهمَّ، فكما كرَّهتَ إليَّ أن أَظْلِمَ، فقني من أن أُظلَمَ».[٢]

فالإنسان الذي لا يرضى لنفسه أن يكون مظلومًا يجب عليه ألا يظلم الآخرين، وعندما يهمّ بالظلم يجب عليه أن يضع نفسه في موضع المظلوم حتى ينتهي عن الظلم.

ويستعرض عليه السلام عدة أنواعٍ من ظلم الآخرين في دعائه في الاستعاذة من المكاره قائلًا: «اللَّهمَّ، إني أعوذ بك من هيَجان الحرصِ، وسَوْرَةِ الغضب ... – إلى أنْ يقول –، ومباهاة المكثرين، والإزراء بالمقلين، وسوءِ الولاية لمن تحت

١- مفاتيح الجنان، من دعاء يوم الثلاثاء للإمام زين العابدين عليه السلام، ص٥٢.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا اعتدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحبّ، ص ٧٨.

أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، أو أن نعضد ظالمًا، أو نخذل ملهوفًـا، أو نرومَ ما ليس لنا بحق، أو نقـول في العلم بغير علم، ونعوذ بك أن ننطوي على غش أحد، وأن نُعجبَ بأعمالنا، ونمدّ في آمالنا».[١]

من الواضـح أنَّ كل فقرة من فقرات هذا الدعاء تحتاج إلى شـرحٍ لا يتّسع له المقام هنا، وكل ما نحتاجه هو تطبيق كل فقرة وردت في الدعاء السابق على أنفسـنا بصدق؛ لكي نكتشـف مستوى الظلم الذي يسـوِّد قلوبنا؛ لأننا كثيرًا مـا نمقت الجبابـرة والطواغيت ابتداءً مـن فرعون، مرورًا بيزيـد، وانتهاءً بصـدَّام، ولكننا نمارس الظلم ولو بمسـتوىً أقلّ، وعلى نطاق ضّـيق، وبقدر مـا أوتينـا من قوة، ولذلـك يقول الإمام زيـن العابديـن عليه السلام متكلّمًا عمّن ظلمه عليه السلام: «ولا تسـوِّغ لهُ ظلمي وأحسِـنْ عليهِ عوني، وأعصـمني من مثل أفعاله، ولا تصيرني في مثل حاله»[٢]؛ وذلك لأنَّ كثيرًا من المظلومين يتّخذون ردود أفعالٍ تحوّلهم إلى ظالمين، فينبغي على المظلوم أن يحذر أثناء مطالبته بحقـه بألا يمارس الظلـم من أجل ذلك؛ لكيلا يتحوّل مـن مظلومٍ إلى ظالم - والعياذ بالله تعالى -.

ثالثًا: الدعاء والإنسان المظلوم

نقـرأ في أدعيتهـم عليهم السلام أنَّ الله مطّلـعٌ علـى عباده، وهو الـذي يأخذ الحق للمظلوم مـن الظالم، قيل للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: كم بين السـماء

١- المصدر السابق، من دعائه في الاستعاذة من المكاره وسيّء الأخلاق ومذام الأفعال، ص ٦١.
٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا اعتدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحبّ، ص ٧٨.

إلى الأرض؟ قال: «دَعوةٌ مُستجابة»[١]، وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إذا اعتدي عليه: «يا مَن لا يخفى عليه أنباءُ المتظلمين، ويا مَن لا يحتاج في قَصَصهم إلى شهادات الشاهدين، ويا مَن قرُبتْ نصرتُهُ من المظلومين، ويا مَن بعُدَ عونُهُ عن الظالمين».[٢]

وشعور المظلوم أنَّ الله سيأخذ حقَّهُ عاجلًا أم آجلًا يهوِّنُ عليه مصيبتَهُ، كما فعل إمام المظلومين الحسين بن علي عليهما السلام: «لمَّا امتلأت يداه رمى بالدم نحو السماء، ثمَّ قال: هوَّنَ ما نَزَل بي أنَّه بعينِ الله تعالى»[٣]، وفي هذه الأجواء نعيش مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعائه: «الحمد للهِ الذي يؤمنُ الخائفينَ، وينجِّي الصَّالحينَ، ويرفعُ المستضعفينَ، ويضعُ المستكبرينَ، ويُهلكُ ملوكًا، ويستخلفُ آخرين، والحمد لله قاصمِ الجبَّارينَ، مبيرِ الظالمينَ، مدركِ الهاربينَ، نكالِ الظالمينَ، صريخِ المستصرخينَ، موضعِ حاجاتِ الطالبينَ، معتمدِ المؤمنين».[٤]

فنهاية الظالم هي الهلاك والخزي والعار، ويكفي أن نسأل أين الحسين المظلوم؟

وأين يزيد الظالم في حياتنا، ووجداننا؟

١- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٣٤١.

٢- المصدر السابق، ص٧٧.

٣- موسوعة كلمات الإمام الحسين- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ص ٥٧٣.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٣.

لكـن مـا ذَكرناه لا يعني أن يدعـو المظلوم ربّه ثم يقف مكتـوف الأيدي أمام الظلـم الـذي يتعرّض إليه، بـل ينبغي أن يطالب بحقّه، ويخلِّص نفسـه مما تتعرّض له من ظلم بكل الوسائل المشروعة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «اللَّهمَّ، صـلِّ على محمدٍ وآل محمد، واجعل لي يدًا على مَن ظلمني، ولسـانًا على مَن خاصـمني، وظفرًا بمَن عاندني، وهب لي مكـرًا على مَـن كايدني، وقدرة على من اضـطهدني، وتكذيبًا لمن قصـبني، وسلامةً ممن توعدني».[١]

رابعًا: موقف الإنسان من الظالم والمظلوم

الحياد والتَّفرّج والسلبية أمورٌ مرفوضة في أدعية أهل البيت عليهم السلام إذا وجد ظالم ومظلوم ورأى الإنسان الظلم أمام عينيه.

وليـس من المقبـول أن يعتذر معتـذرٌ بتلاوة القرآن عن الجهـاد، ويتَّخذ من التـلاوة ذريعة لترك الجهاد -عندما يكون الجهاد واجبا ضـروريا-، ولو أنَّ كلَّ أصـحاب محمد صلى الله عليه وآله تركوا الجهاد بحجَّة الانشـغال بتلاوة القرآن لما قامت للإسلام قائمة!

أهل البيت عليهم السلام يربّون شـيعتهم على نصـرة المظلومـين، والوقوف في وجه الظالمين، يقـول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الاعتذار من تبعات العباد: «اللَّهمَّ، إنِّي أعتذر إليك من مظلوم ظُلمَ بحضرتي، فلم أنصره».[٢]

١- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٨.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتذار من تبعات العباد، ص١٦٦.

خامسًا: العدل الإلهي

وتعلّمنا أدعيتهم عليهم السلام أن سبحانه وتعالى أن الله لا يظلم الناس شيئًا، فقد ورد في دعاء الجوشن الكبير: «يا مَن هو ليس بظلامٍ للعبيد».[١]

وورد في دعاء ليلة الجمعة: «وقد علمتُ أنه ليسَ في حكمِكَ ظلمٌ، ولا في نقمتك عجلة، وإنما يعجلُ مَن يخاف الفَوتْ، وإنما يحتاجُ إلى الظلمِ الضعيف، وقد تعاليتَ يا إلهي عن ذلك علوًّا كبيرًا».[٢]

فينبغي على الإنسان مهما بلغت مصيبته أن يوقن بعدل الله.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إذا اعتدي عليه: «اللَّهمَّ، لا تفتني بالقنوط من إنصافك».[٣]

ويقول عليه السلام: «ووفّقني لقبول ما قضيت لي وعليّ، ورضِّني بما أخذت لي ومنّي».[٤]

١- مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٧٨، ص١٤١.

٢- المصدر السابق، أعمال ليلة الجمعة، ص٦٠.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا اعتدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحبّ، ص٨٧.

٤- المصدر السابق، ص٧٩.

القرآن الكريم

القرآن كتاب التشريع الخالد

القرآن الكريم هو الأساس الذي سيؤسّس الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عليه دولته العالمية الكبرى؛ ليواصل بذلك مسيرة جدّه صلى الله عليه وآله للدعوة إلى الله، ورد في دعاء الافتتاح للإمام الحجَّة عليه السلام: «اللَّهم، اجعلهُ الداعي إلى كتابك، والقائمَ بدينك».[١]

والقرآن الكريم هو مصدر التشريع، والكتاب السماوي الأخير المنزل من عند الله تعالى، وهو الكتاب الأفضل على الإطلاق، يقول الإمام السَّجاد عليه السلام عند ختمه للقرآن: «اللَّهمَّ، إنَّكَ أعنتني على ختمِ كتابِك الذي أنزلتَهُ نورًا، وجعلتَهُ مهيمنًا على كلِّ كتابٍ أنزلتهُ، وفضَّلتهُ على كلِّ حديثٍ قصصتهُ، وفرقانًا فَرَقتَ بهِ بينَ حلالِكَ وحرامِكَ، وقرآنًا أعربتَ بهِ عن شرائعِ أحكامِكَ».[٢]

القرآن يهدينا وينجينا، ولكن (بشرطها، وشروطها)، وقد ضمن لنا النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله النَّجاة من الضَّلال عندما نتمسّك بالكتاب والعترة في حديث الثقلين، يقول الإمام السجاد عليه السلام عند ختمه للقرآن: «وجعلتهُ نورًا نهتدي

١- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٤.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه عند ختمه القرآن، ص١٧٦.

من ظُلمِ الضــلالةِ والجهالةِ باتّباعه، وشفاءً لمن أنصتَ بفهمِ التصديق إلى اســتماعِهِ، وميزانَ قســطٍ لا يحيفُ عن الحقِّ لســانُه، ونورَ هدىً لا يطفأُ عن الشــاهدينَ برهانه، وعَلَمَ نجاة لا يَضــلُّ من أمَّ قصدَ ســنته، ولا تنال أيدي الهلكاتِ من تعلَّق بعروةِ عصمتِه».[١]

ومن الواضح في الفقرة السابقة أنَّ القرآن له آثار إيجابية، وهذه الآثار تعتمد علــى التلقّي الإيجابي للقرآن الكريم، لا كما يتصــوّر البعض من أنَّ القرآن لــه آثار تلقائية، أو (أتوماتيكية)، فيعتقد بمجرد التلاوة المجردة سيحصــل علــى كلِّ الآثــار الإيجابية للقرآن، فنلاحظ أنَّ الإمــام عليه السلام قد عبَّر بقوله: «باتّباعه، بفهم التصــديق إلى استماعه، من أمَّ قصد سنّته، من تعلّق بعروة عصــمته»، في إشــارة إلى أهمية الاتّبــاع والتطبيق العملي لمــا يرد في القرآن الكريم بالإضافة إلى التصديق العقائدي.

القرآن الكريم بين الشكل والمضمون

البعض يقول: إن المهم في القرآن هو الجانب التطبيقي، ويهمل حفظ القرآن، والقراءة الصحيحة، والتلاوة والتجويد حيث يعتبرها أمورًا شكليَّة وخارجية، والبعض الآخر كلُّ همِّهِ هو مخارجُ الحروفِ وصــفات الحروف، أما ما تدعو إليه تلك الآيات القرآنية وتأمر به وتنهى عنه فلا علم له به!

١- المصدر السابق، ص١٧٦.

من الخطأ أن نهمل الشكل والظاهر المتمثّل في القراءة الصحيحة والتلاوة، أو نهمل المضمون والتفسير، يقول الإمام السَّجاد عليه السلام: «اللهمَّ، فإذ أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهَّلتَ جواسي ألسنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممَّن يرعاهُ حقَّ رعايتِه، ويدينُ لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهِهِ، وموضحاتِ بيّناتِه».[١]

القرآن وأثره في الدنيا

للقرآن آثارٌ في الدنيا وفي الآخرة، فمن آثاره في الدنيا على المستويين المادي والمعنوي ما يشير إليه الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء نفسه: «واجبر بالقرآن خلّتنا من عدم الإملاق، وسقْ إلينا به رَغَدَ العيشِ وخِصْبَ سَعةِ الأرزاق، واعصمنا به من هُوّة الكفر ودواعي النفاق ...».[٢]

ومن الآثار العظيمة للقرآن أثره في غفران الذنوب، وعند سكرات الموت وأهواله، والنجاة من عذاب الآخرة وعلوّ الدرجات يوم القيامة، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «واجعل القرآن وسيلةً لنا إلى أشرفِ منازل الكرامة، وسلَّمًا نجزى به النجاةَ في عرصةِ القيامةِ، وذريعةً نقدِمُ بها على دارِ المُقامَة، اللهمَّ صلِّ على مُحمدٍ وآل محمد، واحطط بالقرآنِ عنا ثقل الأوزار، وهبْ لنا

١- المصدر السابق، ص١٧٧.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا ختم القرآن، ص١٧٩.

حُســنَ شــمائلِ الأبرار، واقفُ بنا آثارَ الذينَ قاموا لكَ به آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار». [١]

ويقول عليه السلام في موضع آخر: «وارِو به في موقفِ العرضِ عليكَ ظمأَ هواجرِنا، واكسُنا به حُللَ الأمانِ يومَ الفزعِ الأكبرِ في نشورِنا». [٢]

ويقــول عليه السلام: «وهوِّن بالقرآن عند الموتِ على أنفســنا كرْبَ الســياق، وجَهدَ الأنين، وترادف الحشــارج، إذا بلغت النفوسُ التراقي وقيلَ من راق، وتجلّى ملكُ الموتِ لقبضها من حجبِ الغيوب، ورماها عن قوسِ المنايا بأسهمِ وحشةٍ وفراق، وداف لها من دُعافِ الموتِ كأسًا مسمومةَ المذاق، ودنا منّا إلى الآخرةِ رحيلٌ وانطلاق ...». [٣]

القرآن أنس المؤمنين يحرس قلوبهم عن وساوس الشيطان، ويكفّ جوارحهم عن المعاصــي، وعندما يأتي الليل، وتســكن الحركة، ويخيم الظلام، ويعيش الإنسان الوحشة يكون القرآن هو أنس المؤمنين، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنسًــا، ومن نزغات الشــيطان وخطرات الوســاوس حارسًــا، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصــي حابسًا، ولألسنتنا عن الخوضــ في الباطل من غير ما آفةٍ مُخرسًــا، ولجوارحِنا عن اقتراف الآثام زاجرًا، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبارِ ناشرًا». [٤]

١- المصدر السابق، ص١٧٨.

٢- المصدر السابق، ص١٧٩.

٣- المصدر السابق، ص١٨٠.

٤- المصدر السابق، ص١٧٩.

التوفيق لتلاوة القرآن

من أولويات المؤمنين في حياتهم - ولا سيما في شهر رمضان - هو الدعاء بالتوفيق لتلاوة القرآن الكريم، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في دعاء اليوم العشرين من شهر رمضان: «اللَّهم، افتح لي فيه أبوابَ الجنان، وأغلق عني فيه أبواب النيران، ووفّقني فيه لتلاوة القرآن، يا مُنزلَ السكينة في قلوب المؤمنين».[١]

ويحتاج الارتباط بالقرآن إلى إعانة من الله تعالى، يقول الإمام علي عليه السلام في دعائه إذا ختم القرآن: «اللَّهمَّ، اشرح بالقرآن صدري، واستعملْ بالقرآن بدني، ونوِّر بالقرآن بصري، وأطلق بالقرآن لساني، وأعنِّي عليه ما أبقيتني، فإنه لا حول ولا قوَّة إلا بك».[٢]

١- مفاتيح الجنان، دعاء اليوم العشرين من شهر رمضان، ص٢٩٩.

٢- مصباح المتهجد ص٣٢٣، الإقبال ٢/ ٢٩٠.

الموت

العبد مقهور بالموت

الموت هو لحظة من لحظات انكشاف ضَعفِ الإنسان أمام قدرة الله تعالى، فمهما طغى الإنسان وتفرّعنَ وتكبَّرَ وتجبَّرَ إلا أنه لا بدَّ له من أن يقف عاجزًا أمام الموت، يقول الإمام علي عليه السلام: «فيا مَنْ تَوَحَّدَ بالعزِّ والبقاءِ، وقَهَرَ عِبَادَهُ بالمَوْتِ وَالفَنَاء»[١]، وكذلك ورد في دعاء الافتتاح للإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف: «الحَمْدُ للّهِ الذي يُؤمِنُ الخَائِفينَ، ويُنجِّي الصَالِحِينَ، ويَرْفَعُ المُسْتَضْعَفينَ، ويُهْلِكُ مُلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخرين، والحَمْدُ للّهِ قَاصِمُ الجبَّارين، مُبيرُ الظالمين، مُدْرِكُ الهاربين، نكالُ الظَّالمين».[٢]

وتتجلّى قدرةُ اللّهِ تعالى في أنه هوَ الذي يقرّرُ بقاءَ أو فناءَ مخلوقاته كما ورد في دعاء الجوشن الكبير: «يا مَنْ جَعَلَ لكلِّ شيءٍ أَمَدًا»[٣]، وكما أنه هو الذي يميت الخلائق فهو الذي يُحييها بعد الموت كما ورد في الدعاء نفسه: «يَا مَنْ لا يُحيي المَوْتى إلا هُو».[٤]

١- مفاتيح الجنان، دعاء الصباح، ص٩٥.

٢- المصدر السابق، دعاء الافتتاح، ص٢٣٣.

٣- المصدر السابق، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٨٤، ص١٤٢.

٤- المصدر السابق، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٩٠، ص١٤٣.

النظرة الإيجابية للموت

تحثّنا أدعيتهم عليهم السلام على النظرة الإيجابية للموت، مثال ذلك ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهمَّ، أصلحْ لي ديني فإنَّهُ عِصْمَةُ أمري، وأصلحْ لي آخرتي فإنها دارُ مقري، وإليها مِن مُجَاورةِ اللئامِ مفرِّي، واجعلْ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، والوفاةَ راحةً لي مِنْ كلِّ شر».[1]

في النظرة القاصرة المحدودة ننظر إلى الموت باعتباره حرمانًا من نعيم الدنيا وانقطاعًا عن متاعها، ولكن الدعاء هنا يعلّمنا أن ننظر نظرة إيجابية للموت باعتباره راحة من شرِّ الدنيا، وبعدٌ عن شرارِها ولئامها، وذلك طبعًا إذا لمن صَلُحَتْ آخرته.

للميت حرمته

ومما يسترعي الانتباه هو أن أدعية أهل البيت عليهم السلام تولي الميت اهتمامًا كبيرًا، وتنهى عن التعدّي اللفظي فضلًا عن التعدّي الفعلي عليه، ومما ورد في هذا الشأن ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهمَّ، أيَّما عبدٍ من عبيدكَ، أو أمَةٍ من إمائِكَ، كانتْ لهُ قِبَلي مَظلمةٌ ظلمتُها إياه في نفسِهِ، أو في عرضِهِ، أو في مالِهِ، أو في أهلِهِ وولدِهِ، أو غِيْبَةٌ اغتبتُهُ بها، أو تحاملٌ عليهِ بِمَيلٍ، أو هَوًى، أو أَنفةٍ، أو حَميةٍ، أو رياءٍ، أو عصبيةٍ غائبًا كان أو شاهدًا،

١- الصحيفة السجّادية، دعاء يوم الثلاثاء، ص٢٨٣.

حيًّا كان أو ميتًا ...»[١]، فنلاحظ أن الميت ليسَ مستثنى في حفظِ الحرمةِ حتى على المستوى اللساني.

الدعاء للميّت

والأمر لا يقتصر على النهي عن التعدّي على حرمة الميت، بل إنَّ أدعيتهم عليهم السلام تحثّ على الدعاء للميت بالرحمة، وألَّا ينساه أهله وأصحابه مما يجعل العلاقة وثيقة بين الحيّ والميّت عن طريق الدعاء، وأعمال الخير التي يهديها الحيُّ للميت.

ويستفاد من بعض الأحاديث أن الميّت يفرح بسورة الفاتحة كما يفرح الحيّ بالهدية، ومما ورد في الدعاء للميّت دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله: «اللهمَّ، أدخلْ على أهلِ القبورِ السُرور»[٢]، وقول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: «وعلى مرضى المسلمينَ بالشفاءِ والرَّاحة، وعلى موتاهمْ بالرأفةِ والرحمة».[٣]

بذكر الموت يحيا القلب

إذا كانت الجرائم والمعاصي والذنوب تُميت القلب كما ورد عن الإمام السَّجاد عليه السلام: «وأماتَ قلبي عظيمُ جِنَايتي»[٤]، فإن ذِكر الموت يحيي القلب

١- الصحيفة السجَّادية، دعاء يوم الاثنين، ص٢٨٠.

٢- مفاتيح الجنان، أدعية أعمال شهر رمضان، ص٢٢٨.

٣- المصدر السابق، دعاء الحجة: «اللهم، ارزقنا توفيق الطاعة... »، ص١٦٣.

٤- الصحيفة السجادية، مناجاة التائبين، ص٢٩٣.

كما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام: «وانصُبِ الموتَ بينَ أيدينا نصبًا، ولا تجعل ذكرَهُ لنا غبًّا»[١]، يعني: ينبغي علينا أن نلازم ذِكر الموت، لا أن نذكره يومًا وننساه يومًا آخر؛ لأنَّه في حالة نسياننا للموت وعدم الاتّعاظ به يتجرّأ الشيطان على إغوائنا، ونخضع أمام نفسنا الأمارة بالسوء.

ومن المستحيل أن يقدم العبد على معصية وهو يعلم أنه قد يرحل عن الدنيا بعد لحظات إلَّا من كان معاندًا مستكبرًا.

مع لحظات الموت

وفي ذكر الإمام السجّاد عليه السلام التفاصيل الدقيقة لأهوال الموت: «وقدْ خَفَقَتْ عندَ رأسي أجنحةُ المَوْتِ، فما ليْ لا أبكي؟

أبكيْ لخروجِ نفسي.

أبكي لظُلمةِ قبري.

أبكي لِضيقِ لحدي.

أبكي لسؤالِ منكرٍ ونكيرٍ إيَّايّ.

أبكي لخروجي من قبري عرْيانًا ذَليلًا حَاملاً ثقلي على ظهري ...».[٢]

وفي فقرة أخرى من الدُّعاء نفسه: «وارحمني صَريعًا على الفراشِ تُقلِّبني أيدي أحبَّتي، وتفضَّلْ عليَّ مَمْدُودًا على المُغتسلِ يُقلّبُني صالحُ جيرتي،

١- المصدر السابق، من دعائه إذا نعي إليه ميت أو ذكر الموت، ص١٧٢.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٦.

وتَحَـنَّ عليَّ مَحْمُولًا قدْ تناولَ الأقرباءُ أطرافَ جنازتي، وَجُدْ عليَّ منقولًا قدْ نزلتُ بكَ وَحِيدًا في حُفرتي، وارحمْ في ذلكَ البيتِ الجديدِ غربتي».[١]

الموت مَأنس المومن

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «حتَّى يكونَ الموتُ مأنسَنَا الذي نأنسُ به، ومألفُنا الذي نشتاقُ إليه، وحامَّتنا التي نحبُ الدنوَّ منها، فإذا أوردتَهُ علينا وأنزلتَهُ بنا فأسعدْنا به زائرًا، وآنسنا بهِ قادمًا، ولا تُشقنا بضيافتِهِ، ولا تُخزنا بزيارتِه، واجعلْه بابًا من أبوابِ مغفرتِكَ، ومِفتاحًا من مفاتيح رحمتِك، أمتنا مهتدينَ غيرَ ضالينْ، طائعينَ غير مستكرهين، تائبين غير عاصين ولا مصرِّينْ، يا ضامنَ جزاءِ المحسنين، ومستصلحَ عملِ المفسدين».[٢]

وقال رجلٌ لأبي ذر رحمه الله: «ما لنا نكره الموت؟! قال: لأنَّكم عمَّرتم الدنيا، وخرَّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمرانٍ إلى خراب».[٣]

الأمل برحمة الله بعد الموت

على رغم شدّة سكرات الموت وأهواله، فإن أدعيتهم عليهم السلام تفتح لنا أبواب الأمل برحمة الله تعالى، يقول الإمام علي عليه السلام في المناجاة الشعبانية:

١- المصدر السابق، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٨.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا نعي إليه ميت أو ذكر الموت، ص١٧٢.

٣- أصول الكافي، ٢/٤٥٨.

«إلهي، لمْ يزلْ بِرُّكَ عليَّ أيامَ حياتي، فلا تقطعْ برَّكَ عني في مماتي.
إلهـي كيفَ آيسُ من حسـنِ نظرِكَ لي بعدَ مَمَاتي وأنـت لم تُولني إلا الجميلَ في حياتي».[١]

الموت خير من الحياة مع التمادي في المعاصي

قـال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مـكارم الأخلاق: «وعمّرني ما كان عمـري بِذلةً في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعًا للشـيطان، فاقبضـني إليك قبل أن يسبق مقتكَ إليّ، أو يستحكم غضبُكَ عليَّ».[٢]

الجنة والإقبال على الشهادة

المجاهد في سـبيل الله يكـون بين أمرين: بين أن يذكر دنيـاه ومالـهُ، وبين أنْ يذكرَ الجنةَ وما أعدَّهُ اللهُ له من النعيم، فيهون الموت في عينيه، ولذلك يدعو الإمام زين العابدين عليه السلام للمجاهدين في سبيل الله في دعائه لأهل الثغور، فيقول: «اللَّهمَّ، صـلِّ على محمدٍ وآل محمد، وأنسِهِمْ عند لقائهم العدوَّ ذِكرَ دنياهـم الخداعةَ الغـرورَ، وامحُ عن قلوبِهـم خطراتِ المـالِ الفتون، واجعل الجنَّة نُصْـبَ أعينِهِـمْ، ولوِّحْ منها لأبصـارِهم ما أعددت فيها من مسـاكنِ الخلـد ومنـازلِ الكرامةِ والحورِ الحِسـانِ والأنهـارِ المطردَةِ بأنواعِ الأشـربةِ

١- مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين عليه السلام، ص٢٠٩.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٧.

والأشجارِ المتدليةِ بصنوفِ الثمر، حتى لا يَهُمَّ أحدٌ منهمْ بالإدبار، ولا يحدث نفسَهُ عن قرنِهِ بفرار».[١]

وهنـا يتجلّى البُعد العقائـدي المرتبط بالإيمان باليوم الآخـر، وما أعدّه الله للمؤمنين في الإقبال على الموت وتمنّي الشهادة.

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لأهل الثغور، ص١٢٧.

القلب المحجوب

الجوارح والجوانح

عندما ترد كلمة القلب في دعاء أهل البيت عليهم السلام، فإنها لا تعني ذلك الجهاز الصنوبري الموجود في صدر الإنسان، بل تعني القوى الروحية، والقوى الروحية هي الجوانح في مقابل الجوارح، يقول الإمام علي عليه السلام: «قوِّ على خدمتك جوارحي، واشدُدْ على العزيمةِ جَوانِحي».[١]

القلبُ المحجوب

بعد الانتهاء من دعاء الصباح للإمام علي عليه السلام يستحب للمؤمن أن يسجد، ويقول: «إلهي قلبي محجوبٌ، ونفسي معيوبٌ، وعقلي مغلوبٌ، وهواي غالبٌ، وطاعتي قليلٌ، ومعصيتي كثيرٌ، ولساني مقرٌ بالذنوب، فكيف حيلتي يا ستارَ العيوبِ، ويا غفَّارَ الذنوبِ، ويا علَّامَ الغيوبِ، اغفر لي خطيئتي بحرمة محمَّد وآل محمد، يا غفارُ، يا غفارُ، يا غفارُ».[٢]

الشرك الحجاب الأخطر

الشرك هو الحجاب الأخطر، والتخلّص منه والدخول في دائرة الإيمان

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص١٠٠.

٢- المصدر السابق، دعاء الصباح، ص٩٥.

هـو النعمة الكبرى والفوز العظيم، يقول الإمـام زين العابدين عليه السلام: «فلك الحمدُ على ما نقيت من الشركِ قلبي».[١]

أسباب وجود الحجاب

يقـول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الاعـتراف وطلب التوبة: «اللَّهمَّ، إنَّـه يحجبنـي عن مسـألتك خِلال - صـفات - ثلاث، وتحـدوني عليها خَلَّة واحدة»، وهذه الصفات الثلاث هي:

١- «يحجبني أمرٌ أمرتَ بهِ، فأبطأتُ عنه».

٢- «ونهيٌ نهيتني عَنْهُ، فأسْرَعْتُ إليه».

٣- «ونعمةٌ أنعمتَ بها عليَّ، فقصَّرتُ في شكرِها».[٢]

وفي فقرة أخرى يبيّن الإمام زين العابدين عليه السلام أسـبابًا أخرى، حيث يقول: «وأنـك لا تحتجب عـن خلقك إلَّا أن تحجبهم الأعمـال - وفي رواية الآمال - دونك».[٣]

إذًا، الله تعـالى لا يحتجـب عن خلقـه، فيجب أن نفتّش عن الأعمال السـيّئة التـي تحجبنا عن ربّنـا، وعن الآمـال الكاذبة التي قد تتبخّـر في أيّ لحظة، والتي تنسـي الإنسان ذِكر ربّه، فتحجبه الذنوب والأعمال والآمال، ويغرق في الغرور والآمال.

١- المصدر السابق، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٧.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتراف وطلب التوبة، ص٦٩.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٠.

ما علاج القلب المحجوب؟

القلب المحجوب قلبٌ ميتٌ، والقلبُ الحيّ إنما يحيا بذِكر الله، وبالتوبة، والرجوع إلى الله، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيه بتوبةٍ منك يا أملي وبغيتي».[١]

باب الله مفتوح

ولمَن أراد أن يرفع حجاب قلبه، ويستغفر من ذنبه، فإنَّ باب الله مفتوح لعباده، قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي: «اللَّهمّ، إنّي أجدُ سبلَ المطالبِ إليك مُشرّعَة، ومناهلَ الرجاءِ لديكَ مترعة، والاستعانة بفضلك لمَن أمَّلكَ مُباحةً، وأبوابَ الدعاءِ إليكَ للصارخينَ مفتوحَة، وأعلمُ أنك للراجين بموضعِ إجابة، وللملهوفينَ بمرصدِ إغاثة».[٢]

أذنت لي في دعائك

ومن نِعَم الله على الإنسان أنه أذن له في دعائه في أيّ وقت شاء من ليلٍ أو نهار، وفي أيّ مكان شاء بينما يحتاج إلى ألف إذن وإذن، وأن يمرّ على ألف حاجب وحارس لزيارة ملك من ملوك الدنيا، وقد يحصل على هذه الزيارة وقد لا يحصل عليها، وإذا حصل عليها قد يخرج مكرمًا أو يخرج مهانًا، قال

١- الصحيفة السجادية، مناجاة التائبين، ص٢٩٣.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٠.

الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: «اللَّهمَّ، أذنت لي في دعائك ومسألتك، فاسمع يا سميعُ مدحتي، وأجبْ يا رحيمُ دعوتي، وأقل يا غفورُ عثرتي».[١]

ولو حرمنا الله من دعائه ومنعنا لخسرنا نعمةً من أكبر نعمه علينا.

الإنسان شقيٌّ

ولكن الإنسان من شقائه وظلمه يعيش الحالة التي يصوّرها الإمام المهدي: «يا ربِّ، إنَّك تدعوني فأولي عَنك، وتتحبّبُ إليَّ فأتبغّضُ إليك، وتتوّددُ إليَّ فلا أقبلُ منك كأن لي التطوّلَ عليك، فلم يمنعكَ ذلكَ من الرحمةِ لي والإحسانِ إليَّ والتفضّلِ عليَّ بجودك وكرمك».[٢]

وهذا الدعاء يشير إلى أن المسألة لا تقف عند مرحلةِ أنَّ اللهَ لا يحتجب عن خلقه، وأن العبيد هم الذين تحجبهم الأعمال والآمال، وإنما تصل إلى أنه يدعوهم ويتحبّب ويتودّد إليهم، وهم يقابلون هذه الرحمة والعطف الإلهي باللؤم، فيتولّون عن الله، ويتبغضّون إليه، ولا يقبلون منه التوّدد، ومع ذلك يشملهم الربُّ الرحيمُ برحمته وإحسانه وتفضّله.

كيف تتعامل مع يومك؟

اليوم كنز.

١- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣١.

٢- المصدر السابق، دعاء الافتتاح، ص٢٣٢.

اليوم هو الكنز الثَّمين.

اليوم هو سلَّم يصعد به المؤمن إلى درجات الكمال.

اليوم قد يحسن المرءُ فيه إحسانًا يخلده في الجنة، وقد يسيئ فيه إساءة تكبه على وجهه في النار.

كيف نستقبل اليوم؟

وكيف نصاحبه؟

وكيف نستثمره؟

وكيف نودّعه؟

وكيف نفكّر فيما مضى من الأيام؟

وكيف نخطّط لما سيأتي من الأيام؟

اليوم خطوة

كل يـوم يمرُّ على الإنسـان، فهو خطوة في رحلته الكبـيرة التي تنتهي بالموت، ولكن في أيّ اتّجاه تكون هذه الخطوة؟

إنَّ عمر الإنسـان كالجـدار الذي يتكوّن من مجموعة من الأحجار المتراصّـة التي يلوّن بعضـها باللون الأبيض كرمز للطاعة، أو الأسـود كرمز للمعصية، وعندما يموت الإنسان يكتمل مشهد هذا الجدار، فإمَّا يكون أبيض، أو أسود، أو ممتزجًا يغلب عليه البياض، أو السواد.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «ثُمَّ ضرب له - أي للإنسان - في الحياة أجلًا موقوتًا وأمدًا محدودًا يتخطّأ إليه بأيام عمره ويرهقه بأعوام دهره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه؛ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى».[١]

اليوم صاحب وشاهد

واليوم ليس مجرّد ساعات ودقائق تأتي وتذهب، وإنما هو صاحب يصاحب الإنسان، وشاهد يشهد على عمله يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وهذا يوم حادثٌ جديدٌ وهو علينا شاهدٌ عتيدٌ، إنْ أحسنَّا ودَّعَنا بحمد، وإنْ أسأنا فارَقَنَا بذم».[٢]

إذًا، اليوم هو صاحبٌ وصديقٌ جديدٌ سينقلُ رسالتك إلى العالم الآخر، تفوح منها روائح الخير والطاعة، أو بصمات الشرّ والجريمة، يقول الإمام السَّجَّاد عليه السلام: «اللَّهمَّ، صلِّ على محمد وآل محمد، وارزقنا حسن مصاحبته، واعصمنا من سوء مفارقته، بارتكاب جريرة أو اقتراف صغيرة أو كبيرة، واملأ ما بين طرفيه حمدًا وشكرًا وأجرًا وذخرًا وفضلًا وإحسانًا».[٣]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في التحميد لله، ص٣٣.

٢- المصدر السابق، من دعائه عند الصباح والمساء، ص٥٥.

٣- المصدر السابق، من دعائه عند الصباح والمساء، ص٥٦.

وواضح أن الإمام حريص على أن يكون يومنا خاليًا من أيّ نقطة سوداء، (أو اقتراف صغيرة)؛ ليكون ذلك اليوم أبيض ناصع البياض يُسرّ به الإنسان يوم يلقاه، وكل نجاح من هذا النوع سيكون بمثابة زيادة حجرة بيضاء في جدار العمر.

اليوم ... ماذا نعمل فيه؟

أما ماذا نستطيع أن نعمل في هذا اليوم، فهذه أمثلة يضربها الإمام السجّاد عليه السلام في الدعاء نفسه: «اللَّهمَّ، وفّقنا في يومنا هذا، وليلتنا هذه، وفي جميع أيامنا؛ لاستعمال الخير، وهجران الشرّ، وشكر النعم، واتّباع السنن، ومجانبة البدع، وحياطة الإسلام، وانتقاص الباطل وإذلاله، ونصرة الحق وإعزازه، وإرشاد الضالّ، ومعاونة الضعيف، وإدراك اللهيف».[١]

وقال الإمام علي عليه السلام: «أسألكَ بحقِّكَ وقدسكَ، وأعظمِ صفاتكَ وأسمائكَ، أن تجعلَ أوقاتي في الليلِ والنهارِ بذِكرِكَ معمورةً، وبخدمتِكَ موصولةً، وأعمالي عندكَ مقبولة».[٢]

اليوم.. بوابة التكامل

ولو رسمنا لأنفسنا خطَّة تقتضي أن نجعل كلَّ يومٍ جديد أفضل يوم في حياتنا كلها، فسيكون يومنا أفضل من أمسنا، وغدنا أفضل من يومنا، فنصعد

١- الصحيفة السجادية، من دعائه عند الصباح والمساء، ص٥٧.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص١٠٠.

بكل يوم يمرّ علينا درجة، ونتكامل أكثر، ونسدّ الثغرات، ونعالج السلبيات، ونسجّل أعمالنا في سجلّ الخلود، ونقترب من الواحد المعبود، يقول زين العابدين عليه السلام: «اللَّهمَّ، صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ، واجعلهُ أيمنَ يومٍ عهدناهُ، وأفضلَ صاحبٍ صحبناهُ، وخير وقتٍ ظللنا فيه، واجعلنا مِن أرضى من مرَّ عليه الليلُ والنهار من جملة خلقك، أشكرَهم لما أوليتَ من نعمِك، وأقومَهم عمَّا حذرتَ من نهيك»[١]، وفي المعنى نفسه يقول عليه السلام: «واجعل غدي وما بعده أفضل من ساعتي ويومي».[٢]

اليوم .. بين العمل والفراغ

ويقضي الإنسان اليوم إمَّا في العمل، وإما في الفراغ، ولكل منهما منافذ ينفذ منها الشيطان إلى قلب الإنسان، فالعمل كثيرًا ما يكون مكتسبًا من الحرام، أو تشوبه منه شائبة، وأمَّا الفراغ فهو الفخ الذي ينصبه الشيطان للإنسان، فيقع فيه ضحايا الزِّنا، والمخدرات، والسرقة، وغيرها، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «فإن قدَّرت لنا فراغًا من شغلٍ، فاجعله فراغَ سلامةٍ لا تدركنا فيه تبعةٌ، ولا تلحقنا فيه سأمةٌ، حتى ينصرفَ عنّا كتَّابُ السيئاتِ بصحيفةٍ خاليةٍ من ذِكرِ سيئاتنا، ويتولّى كتَّابُ الحسناتِ عنَّا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا».[٣]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه عند الصباح والمساء، ص٥٧.

٢- المصدر السابق، دعاء يوم الأحد، ص٢٧٧.

٣- المصدر السابق، من دعائه بخواتيم الخير، ص٦٧.

الملامح العامَّة ليوم المؤمن

وملامح اليوم الذي ينبغي علينا أن نعيشه يرسمها الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء يوم الاثنين: «اللَّهمَّ، اجعل أوَّل يومي هذا صلاحًا، وأوسطه فلاحًا، وآخره نجاحًا، وأعوذ بك من يومٍ أوَّله فزع، وأوسطه جزع، وآخره وجع»[١]، واذا استطعنا أن نجعل كل يوم من أيامنا كما خطَّطَ لنا الإمام عليه السلام، فإن حياتنا ستكون كما يقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء يوم الثلاثاء: «واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، والوفاة راحةً لي من كل شرّ».[٢]

اليوم فرصة إضافية

ينبغي علينا أن ننظر إلى كل يوم من أيامنا على أنه فرصة إضافية كان من الممكن أن نفقدها في أيّ لحظة، وفي هذا الأمر يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «لك الحمد أن بعثتني من مرقدي ولو شئتَ جعلته سرمدًا حمدًا دائمًا لا ينقطع أبدًا، ولا يحصي له الخلائق عددًا».[٣]

زيادة الأيام زيادة الخير

ويسأل الإمام السجّاد عليه السلام ربّه أن يزيد أيامه في الخير والطاعة: «اللَّهمَّ، فكما أبقيتني له فأبقني لأمثاله، وصلّ على النبيّ محمد وآله»[٤]، ولكن هذه

١- المصدر السابق، دعاء يوم الاثنين، ص٢٨٠.

٢- المصدر السابق، دعاء يوم الثلاثاء، ص٢٨٠.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء يوم الأربعاء، ص٢٨٥.

٤- المصدر السابق، دعاء يوم الخميس، ص٢٨٧.

البقاء مربوط بعدم الوقوع في المعاصي والآثام: «ولا تفجعني فيه وفي غيره من الليالي والأيَّام بارتكاب المحارم، واكتساب المآثم، وارزقني خيره وخير ما فيه وخير ما بعده، واصرف عنّي شرّه وشرّ ما فيه وشرّ ما بعده».[١]

وفي الختام نذكر حديثًا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مَن أمضى يومه في غير حقّ قضاه، أو فرضٍ أدَّاه، أو مجدٍ بناه، أو حمدٍ حصله، أو خيرٍ أسّسه، أو علمٍ اقتبسه فقد عقّ يومه».[٢]

١- المصدر السابق، دعاء يوم الخميس، ص٢٨٧.

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠/٢٥٣.

ضعف الإنسان

من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يعترف بها أمام ربّه وهو يدعوه الضَعف؛ لأنَّ الإنسان مهما بلغ من الغطرسة والغرور والتعالي والتكبّر، فلا بدَّ أن يصطدم في لحظة من اللحظات بحقيقة ضعفه.

وقد حاولتُ أن أستقرأ أنواع الضعف التي يعاني منها الإنسان كما تطرحها أدعيتهم عليهم السلام ، فكانت كالتالي:

١. ضعف الإنسان أمام ربّه، ويرسم لنا الإمام زين العابدين عليه السلام صورة بهذا الشأن تعكس تأثيرات الشعور بالضعف في ظاهر الإنسان وباطنه، وهو بلا شك من الضعف الإيجابي: «وأخلص لك التوبة، فقام إليك بقلبٍ طاهرٍ نقيّ، ثمّ دعاك بصوتٍ حائلٍ خفي، قد تطأطأ لك فانحنى، ونكَّس رأسه فانثنى، قد أرعشت خشيته رجليه، وأغرقت دموعه خدّيه».[١]

٢. ضعف الإنسان في تحصيل رضا ربّه، «اللَّهمَّ، إني ضعيف، فقوِّ في رضاك ضعفي».

٣. ضعف الإنسان أمام النفس والشيطان، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي، إليك أشكو نفسًا بالسوء أمَّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتراف وطلب التوبة، ص٧٠.

مولعة، ولسخطك متعرّضة ...، إلهي إليك أشكو عدوًّا يضلّني، وشيطانًا يغويني قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى ...».[١]

وقد ورد في دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللَّهمَّ، إنا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم، وكيده ومكائده، ومن الثقة بأمانيه ومواعيده وغروره ومصائده، وأن يطمع نفسه في إضلالنا عن طاعتك ...».[٢]

٤. ضعف الإنسان أمام مصيبات الدنيا، وقد ورد في دعاء الجوشن الصغير المرويّ عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام العديد من مصيبات الدنيا، ولطول هذا الدعاء سنختصر الأمور الواردة فيه، فمنها ضعف الإنسان عن مواجهة الموت، وآلام الاحتضار، والأمراض المستعصية، وظلم الظالمين، وكيد الحاسدين، وعذاب السجون والجلَّادين، وضعفه عن مواجهة الجيوش، وآلات الحرب، ومعاناة الغربة والضياع في الصحراء والمطاردة السياسية وغيرها، والكوارث الطبيعية كعواصف الرياح وأمواج البحار ونيران الحرائق، وضعف الإنسان عن مواجهة المناخ كالحرِّ الشديد والبرد القارص، وضعفه عن مواجهة الجوع والعطش.

ولو تأمّلنا الدعاء لرأينا أنَّ أمرًا واحدًا من الأمور المذكورة يكفي للقضاء على حياة الإنسان.[٣]

١- المصدر السابق، مناجاة الشاكين، ص٢٩٦.

٢- المصدر السابق، من دعائه إذا ذكر الشيطان واستعاذ منه، ص٨٩.

٣- يراجع دعاء الجوشن الصغير، مفاتيح الجنان، ص١٤٤.

٥. ضعف الإنسان عن مواجهة النار في عالم الآخرة، يقول الإمام السجاد عليه السلام في دعائه إذا فرغ من صلاة الليل: «اللَّهمَّ، إني أعوذ بك من نارٍ تغلَّظت بها على من عصاك، وتوعّدت بها من صدف عن رضاك، ومن نارٍ نورُها ظلمةٌ، وهينها أليم، وبعيدُها قريب، ومن نارٍ يأكل بعضُها بعضًا، ويصولُ بعضُها على بعض، ومن نارٍ تذر العظام رميمًا ...».[١]

٦. مقارنة مصيبات الدنيا بمصيبات الآخرة، وأهل البيت عليهم السلام يذكروننا دائمًا بأن عذاب الآخرة أشدّ وأخزى من عذاب الدنيا، ونحن لا نقوى على عذاب الدنيا، فكيف بعذاب الآخرة، يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: «يا ربُّ، وأنت تعلم ضعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها، وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أن ذلك بلاءٌ ومكروه، قليل مكثه، يسير بقاؤه، قصيرٌ مدته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة، وجليل وقوع المكاره فيها، وهو بلاءٌ تطول مدّته ويدوم مقامه، ولا يخفّف عن أهله ...».[٢]

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الرَّهبة: «فأسألك اللَّهمَّ، بالمخزون من أسمائك، وبما وارته الحجب من بهائك إلَّا رحمت هذه النفس الجزوعة، وهذه الرمة الهلوعة التي لا تستطيع حر شمسك، فكيف تستطيع حرَّ نارك، والتي لا تستطيع صوت رعدك، فكيف تستطيع صوت غضبك».[٣]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا فرغ من صلاة الليل، ص١٥١.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه في الرهبة، ص٢٤٣.

عبادة الإنسان

أوصي نفسي وأوصيكم بالمداومة على قراءة المناجاة الشعبانية الواردة عن الإمام علي عليه السلام التي كان الأئمة عليهم السلام يواظبون عليها، وكان الإمام الخميني قدس سره يؤكّد أهميتها، وسموّ معانيها.

الحثّ على العبادة

من العسير إحصاء الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي تحثّ على العبادة، وطاعة الله، ولكن نذكر منها ما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في دعاء شهر شعبان في الاقتداء بالنَّبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله فيما يتعلّق بموضوع العبادة: «اللَّهُمَّ، وهذا شَهْرُ نبيِّكَ سيّدُ رسلِكَ شعبانُ الذي حففتَهُ منكَ بالرحمةِ والرضوان، الذي كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يدأبُ لكَ في صيامِهِ وقيامِهِ، في لياليهِ وأيامهِ، نجوعًا لك في إكرامِهِ وإعظامِهِ إلى محلِّ حِمَامِه. اللَّهمَّ، فأعنَّا على الاستنانِ بسُنَّتِهِ فيهِ، ونيلِ الشفاعة لديه».[1]

عبادة الإنسان قاصرة عن إدراك العفو إلَّا بفضل الله

مهما بلغت هذه العبادة، فإنَّها قاصرة عن إدراك العفو إلَّا بفضل الله ورحمته، ولن تجد أبلغ ممَّا عبر عنه الإمام زين العابدين عليه السلام في بيان هذه الحقيقة في دعاء زين العابدين عليه السلام: «يا إلهي، لو بكيتُ إليك حتى

١- مفاتيح الجنان، أعمال شهر شعبان، ص٢٠٨.

تسْـقطَ أشـفارُ عيني، وانتحبتُ حتى ينقطعَ صـوتي، وقمتُ لكَ حتى تتنشَّـرَ قدماي، ورَكَعْتُ لكَ حتى يَنخلعَ صُـلبي، وَسَـجَدْتُ لكَ حتـى تَتَفقّأ حدقتاي، وأكلـتُ تُرابَ الأرضِ طولَ عمري، وشَـرِبتُ ماءَ الرمادِ آخر دهري، وذكرتُكَ في خلالِ ذلك حتى يكلَّ لسـاني، ثُمَّ لم أرفعْ طرفي إلى آفاق السماءِ استحياءً منك ما اسـتوجبتُ محوَ سـيئةٍ واحدةٍ من سـيّئاتي، وإن كنـتَ تغفر لي حين أسـتوجب مغفرتـك، وتعفو عنّي حين أسـتحق عفوك، فإنَّ ذلـك غيرُ واجبٍ لي باسـتحقاق، ولا أنـا أهـل له باسـتيجاب، إذ كان جزائي منـكَ في أول ما عصيتُكَ النار، فإن تعذّبني فأنت غيرُ ظالمٍ لي».[1]

لقـد رأينـا في الفقرة السـابقة كيـف أن الإمام زين العابدين عليه السلام فصّـل الطاعة، وبالغ فيها مبالغة كبيرة جدًّا، ومن الواضح أنه يتكلم عن طاعة عبد مخلص لله تعالى، ولا يتكلم عن الذي يعبد الله لطلب الرِّياء والسمعة، أو مَن يفسد عبادته بالعُجب، ومع ذلك لم تكن تلك العبادة المخلصة تؤهله لغفران ذنب واحد، فضلًا عمَّن سوّدت سيّئاته صحائف أعماله.

أدعية أهل البيت تحثّ على تذكّر المعاصي والاستغفار منها

ونلاحظ أنَّ أدعيتهم عليهم السلام مليئة بذِكر السيّئات والمعاصي والاستغفار منها، وقليلًا ما نراهم عليهم السلام يشيرون إلى الطاعة، وإذا أشاروا إليها فمرادهم من الطاعة تلـك التي تكون مقرونة برحمة الله، وليسـت مجرَّدة عنها، كما ورد

١- الصحيفة السجادية، من دعائه، ص٨٦.

في دعاء كميل للإمام علي عليه السلام: «أتسلّطُ النارَ على وجوهٍ خرَّتْ لعظمتكَ ساجدة، وعلى ألسن نطقت بتوحيدك صادقة، وبشكرك مادحة، وعلى قلوب اعترفت بإلهيتك محقّقة، وعلى ضمائر حوتْ من العلم بك حتى صارت خاشعة، وعلى جوارح سعت إلى أوطان تعبّدك طائعة، وأشارت باستغفارك مذعنة، ما هكذا الظنُّ بك، ولا أُخبرنا بفضلك عنك يا كريم».[١]

تذكّر السيّئات ونسيان الحسنات والطاعات

يعالج الإمام زين العابدين عليه السلام مرض أولئك المعجبين بأعمالهم إذا صلّوا بضع ركعات، أو صاموا بعض الأيام، فيدخل في نفوسهم العجب مع أنهم لا يتذكّرون المعاصي والسيئات التي ارتكبوها والفرائض التي ضيّعوها، يقول عليه السلام: «ولا أستشهدُ على صيامي نهارًا، ولا أستجير بتهجّدي ليلًا، ولا تثني عليَّ بإحيائها سُنَّة، حاشا فروضك التي من ضيَّعَهَا هلك، ولستُ أتوسّلُ إليك بفضلِ نافلةٍ مع كثيرِ ما أغفلتُ من وظائفِ فروضِك، وتعدّيتُ عن مقاماتِ حدودِك إلى حرماتٍ انتهكتها، وكبائر ذنوبٍ اجترحتها، كانت عافيتُكَ لي من فضائِحِها سترًا».[٢]

لا بدّ من الرحمة الإلهية بالإضافة إلى العمل

ونلاحظ أنَّ الأئمة عليهم السلام يشيرون إلى أن العبادة والعمل الصالح لا تنجي

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا فرغ من صلاة الليل، ص١٤٨.

الإنسان إلا برحمة الله، وهناك الكثير من النصوص في هذا المجال نقتصر على ما يلي:

ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي، إنْ كان قلَّ زادي في المسيرِ إليك، فلقد حسُنَ ظني في التوكل عليك»[١]، وبعد هذه العبارة هناك العديد من العبارات المرادفة لا يسع المجال لذكرها، وفي هذا المعنى ورد عن الإمام علي عليه السلام: «إلهي، إن كان صغُرَ في جنب طاعتك عملي، فقد كبُرَ في جنب رجائكَ أملي.

إلهي، كيف أنقلبُ من عندكَ بالخيبة محرومًا وقد كان حسنُ ظنّي بجودِكَ أن تقلبني بالنجاة مرحومًا».[٢]

الله غنيٌّ عن طاعة العباد

البعض يطرح سؤالًا وهو: لماذا نعبد الله؟، خصوصًا أن الله غنيٌّ عن عباده! والجواب هو: إنَّ المستفيد من العبادة والطاعة هو العبد نفسه، والله غنيٌّ عن طاعة عباده، وإنما أمَرَهُم بها؛ لكي يصلوا إلى الكمال المنشود الذي لا يمكن أن يتحقَّق إلَّا عن طريقِ العبادة، وقد ورد في الدعاء: «اللَّهمَّ، إنَّ الطاعةَ تسرُّك، والمعصية لا تضرُّك، فهب لنا ما يسرُّك، واغفر لنا ما لا يضرُّك».[٣]

١- المصدر السابق، مناجاة الراغبين، ص٣٠٤.

٢- مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية، ص٢٠٩.

٣- أمالي الصدوق، ص٢١٥.

وقـد ورد - أيضًـا - في التعقيبـات العامَّة هذا الدُّعاء: «إلهي، هذه صـلاتي صـلَّيتُها لا لحاجةٍ منكَ إليها، ولا رغبةٍ منـكَ فيها إلَّا تعظيمًا وطاعةً وإجابةً إلى ما أمرتني به.

إلهي، إنْ كانَ فيها نقصٌ مِنْ ركوعها أو سـجودها فلا تؤاخذني وتفضل عليَّ بالقبول والغفران».[1]

فإذا حقّق الإنسـان معنى العبوديـة والطاعة لله، فقد حقّق الهدف من خلقه في الحياة، وفاز فوزًا عظيمًا.

نسأل الله أنْ يجعلنا من أحسن عباده نصيبًا عنده.

إنَّه هو أرحم الراحمين.

١- المصدر السابق، في التعقيبات العامة، ص٤٠.

حاجة الإنسان
بين العطاء الإلهيِّ والعطاء الإنسانيِّ

الإنسان هو المحتاج والله هو المعطي

الإنسان فقير، ومحتاج والله تعالى هو الغني والمعطي، وقد يبدو للإنسان أنَّ فلانًا أعطاه مالًا أو بيتًا، ولكن في الحقيقة أنَّ الله هو المعطي، وأن فلانًا ما هو إلَّا واسطة؛ لأنَّ المالك الحقيقي هو الله والملك كلّه له تعالى، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهمَّ، يا منتهى مطلب الحاجات، ويا من عنده نيل الطلبات».[١]

يقول المرحوم السيد الشيرازي في شرح هذه العبارة: «أي: إنَّك المنتهى في الحاجات التي يطلبها العباد، إذ الحوائج كلها من عند الله سبحانه، فإذا طلب أحد من غيره شيئًا كان المعطي لتلك الحاجة هو الله تعالى»[٢]، وفي ذلك إشارة إلى أن الملكية الحقيقية إنما هي لله وملكية الإنسان ما هي إلا ملكية اعتبارية.

وهناك إشارات لطيفة لهذا المعنى في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام حيث يقول: «اللَّهمَّ، إنما يكتفي المكتفون بفضل قوَّتك، فصلّ على محمدٍ

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في طلب الحوائج إلى الله، ص٧٣.
٢- شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الشيرازي، في ذيل الدعاء السابق.

وآلــه وأكفنا، وإنما يعطي المعطون من فضــل جِدتك فصــلّ على محمد وآله وأعطنا».[١]

ويقول عليه السلام - أيضًا -: «من أين لي الخير ولا يوجد إلَّا من عندك، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلَّا بك».[٢]

الفرق بين عطاء الله وعطاء الإنسان

الفقــرات الآتية توضّــح لنا عدة فروق بين عطاء الله وعطاء الإنســان، يقول الإمــام زين العابديــن عليه السلام: «و يا مَن لا يبيع نعمَهُ بالأثمان، ويا مَن لا يكدِّر عطاياه بالامتنان، ويا مَن يُستغنى بهِ ولا يُستغنى عنه، ويا مَن يُرغبُ إليهِ ولا يُرغب عنه، ويا مَن لا تفني خزائنَه المسائل، ويا مَنْ لا تبدلُ حكمتَه الوسائل، ويــا مَنْ لا تنقطــعُ عنهُ حوائــجُ المحتاجين، ويا مَــنْ لا يعنِّيهِ دعــاءُ الداعين، تمدحتَ بالغناءِ عن خلقك وأنت أهلُ الغنى عنهم، ونســبتهم إلى الفقرِ وهم أهلُ الفقرِ إليك».[٣]

ومن الفقرة السابقة نستنتج ما يلي:

١. إذا كان الإنســان يعطي، فإنَّه يريد مقابلًا لما يعطيه، فهو يبيع ويشــتري، وإذا أعطــى فعنــده دوافــع تدفعه للعطــاء، وتختلف هذه الدوافــع بين مادية ومعنوية فقد يطلب مالًا، أو سمعة أو ثوابًا، أو أنه يعطي؛ لكي يرضي ضميره،

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ص٥٢.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٣٩.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه في طلب الحوائج إلى الله، ص٧٣.

فيحصل على راحة الضمير مقابل عطائه.

أمـا الله تعالى، فإنه لا يبيع نعمه بالأثمان؛ لأنه غير محتاج إلى الثمن إذ إنه تعالى هو الغنيّ المطلق.

٢. إنَّ الله تعالى لا يكدر عطاياه بالامتنان.
أما الإنسان فإذا أعطى، فإنه يمنّ على من أعطاه وينغص عليه عطائه.

٣. «ويا مَن يُستغنى به ولا يُستغنى عنه»، فلا يستطيع الإنسان أن يستغني إلَّا بالله، ولا يمكنه أن يستغني عن الله تعالى طرفة عين أبدًا.

أمَّا المخلوق فلا يُستغنى به، لأنه هو محتاج إلى الله وهو لا يستطيع العطاء - إلَّا بعون الله - وفاقد الشيئ لا يعطيه، ولكل عطاءٍ من المخلوقين بديل، وليس لعطاء الله بديل.

٤. الإنسان قد يعطي ولكن عطاءه محدود وهو يشعر بالنقص من خزائنه حين العطاء، ويشعر بالخوف من الفقر أو قلة الثروة.

أمَّا الله تعالى، فإنه كما يقول عنه الإمام عليه السلام: «ويا من لا تُفني خزائنه المسائل»، ويقول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في دعاء الافتتاح: «الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجود يدَه، الذي لا تنقصُ خزائنُه ولا تزيدُهُ كثرةُ العطاء إلا جودًا وكرمًا»[1]، فالخزائن الإلهية

١- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٢.

لا تنقص بل إنَّ كثرة العطاء لا تزيد الله إلَّا جودًا وكرمًا؛ لأنَّ الله لا يخشى الفقر، ولا قلة الثروة كما هو حال الإنسان.

٥. وهنا يطرح الإمام عليه السلام صفتين من صفات الخالق التي لا يتصف بها المخلوق، وهما: «يا مَن لا تنقطع عنه حوائجُ المحتاجين، ولا يعنِّيه دعاءُ الداعين»، فإذا التجأ الإنسان إلى المخلوق، وأعطاه فإن هذا العطاء منقطع إمَّا لفقر المعطي، وإمَّا لموته، وإمَّا لعجزه، وإمَّا لحالاته النفسية المتقلبة ...، ولكن هذا مستحيل على الله، فلا تنقطع عنه حوائج المحتاجين، ويستحيل عليه الموت والعجز والفقر وغيرها من نقائص المخلوقين، والمخلوق قد يحبّ العطاء، ويتمنى أن يعطي، ولكنه لا يستطيع ذلك لمحدوديته، أمَّا الخالق فـ«لا يعنِّيه دعاء الدَّاعين»، فإنه إذا أراد العطاء يعطي، لأنَّه على كل شيئ قدير، وأما المخلوق فلا يملك من أمره شيئًا، فكيف يملك أمر غيره.

الآثار السلبية لمنع العطاء الإنساني

ونلاحظ أن الإمام السجّاد عليه السلام يتكلَّم عن العطاء الإلهي، والعطاء الإنساني، فيقول: «اللَّهمَّ، أغننا عن هبةِ الوهابين بهبتك، وأكفنا وحشة القاطعين بصلتك حتَّى لا نرغب إلى أحد مع بذلك، ولا نستوحش من أحدٍ مع فضلك».[١]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ص٥١.

وفي هذه الفقرة بيان للنتائج السلبية الناتجة عن لجوء الإنسان إلى الخلق، ومنها الوحشة التي تنتج عن قطع العطاء الإنساني، فيعيش هذا الإنسان حالة من الضيق النفسي، والمشاعر السلبية تجاه مَن منع عنه العطاء، فالإنسان يشعر بالذلّ حينما يطلب حاجته من إنسان آخر، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «اللَّهمَّ، صلّ على محمد وآله، وصُنْ وجهي باليسار، ولا تبتذل جاهي بالإقتار، فأسترزق أهلَ رزقك، وأستعطيَ شرارَ خلقِك، فأفتتن بحمد مَن أعطاني، وأبتلى بذمِّ مَن مَنعني وأنتَ مِنْ دونهم وليُّ الإعطاء والمنع».[1]

فكم يكون ثقيلًا على النفس أن يطلب الإنسان من الإنسان لا سيما إذا كان هذا الإنسان من شرار الخلق، أمَّا الطلب من المؤمنين، فيدخل تحت عنوان التعاون والتعاضد والتواصي، وإن كان العفيف من الناس يتجنّبه حتى مع الفئة المؤمنة.

والفقرات التي ذكرناها تعرض المشكلة، وتعرض الحلّ، والحلّ هو أن يطلب الإنسان من الله أن يستغني به، فلا يحتاج إلى طلب الحوائج من الناس.

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام عبارات مشابهة يقول فيها: «اللَّهمَّ، إنك مَن واليتَ لم يضررهُ خذلانُ الخاذلين، ومَن أعطيتَ لم ينقصهُ منعُ المانعين، ومَن هديت لم يغوه إضلالُ المضلّين، فصلِّ على محمَّد وآله، وامنعنا

١- المصدر السابق، دعاء مكارم الأخلاق، ص١٠٣.

بعـزّك عن عبـادك، وأغننا عـن غيرك بإرفادك، واسـلك بنا سـبيل الحق بإرشادك».[١]

طلب دفع البلاء من الله

وكمـا أن طلـب الخير كالعلم والمال والأولاد وأمثالهـا ينبغي أن يكون من الله كذلك طلب دفع البلاء، وإلى ذلك يشير الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إذا عرضـت له مهمَّة، أو نزلت به ملمَّة وعند الكرب: «أنت المدعو للمهمَّات، وأنـت المفزع في الملمَّات، لا يندفع منها إلَّا ما دفعت، ولا ينكشـف منها إلَّا ما كشـفت ...، فلا مصدر لما أوردت ولا صـارف لما وجهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ميسّر لما عسّرت، ولا ناصر لمن خذلت».[٢]

العطاء الإلهي في دعاء أبي حمزة

«الحمد لله الذي أسـأله فيعطينـي وإنْ كنتُ بخيلًا حينَ يستقرضـني»، فهو تعـالى لا يقابلُ بخلي بالبخل، وإنَّمـا يقابل بخلي بكرمه ولطفه: «والحمد لله الذي أناديه كلما شـئتُ لحاجتي، وأخلو به حيث شـئتُ لسـري بغير شـفيع، فيقضـي لي حاجتي»[٣]، فمَن مِن المخلوقين يسـتطيع أن يفتح أبوابه في الليل والنهار في الصـيف والشـتاء، في الجبال والصـحاري، وفي كل مكان وزمان

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ص٥٣.

٢- المصدر السابق، من دعائه إذا عرضت له مهمة، أو نزلت به ملمة، وعند الكرب، ص٥٩.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٣٩.

يتلقّى طلبات الداعين؟

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «والحمد لله الذي لا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي، والحمد لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لأخلف رجائي»[١]، وذلك للأسباب التي ذكرناها في موضع سابق.

وفي الدعاء توجيه إلى عدم التوجّه في طلب الحاجات إلى المخلوقين، مع بيان سلبيات ذلك.

«والحمد لله الذي وكلني إليه، فأكرمني ولم يكلني إلى الناس، فيهينوني» حيث تتبع صدقتهم المنَّ والأذى.

«والحمد لله الذي تحبَّب إليَّ وهو غني عني».[٢]

الإنسان حينما يعطي، فإنه يعطي من منطلق مصلحة ماديَّة أو معنوية، أما الله فيعطي الإنسان وهو غنيّ عنه.

لماذا نطلب من الله؟

وقد أجبنا عن هذا السؤال في بعض فقرات الموضوع، ونترك الباقي لهذه الفقرة من دعاء أبي حمزة الثمالي: «اللَّهمَّ، إنِّي أجد سبل المطالب إليك مشرعة، ومناهل الرجاء لديك مُترعة، والاستعانة بفضلك لَمن أملك مباحة

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق.

وأبواب الدعاء إليك للصارخين مفتوحة، وأعلم أنك للراجين بموضع إجابة، وللملهوفين بمرصد إغاثة، وأنَّ في اللهف إلى جودك والرضا بقضائك عوضًا من منع الباخلين، ومندوحة عمَّا في أيدي المستأثرين».[١]

وهنـاك فقرة رائعة من دعاء الافتتاح تلخص ما ذكرناه من حاجة الإنسـان إلى الله: «اللَّهمَّ، إنِّي أسألك قليلًا من كثير مع حاجة بي إليه عظيمة، وغناك عنه قديم وهو عندي كثير وهو عليك سـهل يسـير»[٢]، وقـد ركَّز الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في طلب الحوائج إلى الله تعالى على هذا الموضـوع بفقرات لا يتّسع المجال لعرضها، فليراجع من أحبّ التوسّع.

١- المصدر السابق، ص٢٤٠.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٢.

الهروب من اللّه وإلى اللّه

الهروب: لماذا؟، كيف؟، أين؟، متى؟

لماذا الهروب؟

الهروب يكون لظلم فعله الإنسان، أو لخطأ ارتكبه، أو لتقصير قام به، أو في ظل وجود ظالم يخشاه، حين ذلك يفكّر الإنسان في الهروب والفرار، فيبدأ بالتفكير: كيف يفرّ؟

ويختار الأسلوب المناسب والآمن للفرار من الجهة التي يريد الهروب منها! ثم يفكّر إلى أين يفرّ؟

فيفكّر في جهة تعارض تلك الجهة التي هرب منها؛ لكي يلتجئَ إليها، أو تكون الجهة الثانية خارج نطاق سيطرة الجهة الأولى، فيستطيع من خلال اللجوء إلى الجهة الثانية أن يسلم من بطش الجهة الأولى ونكالها، وهذا ما يحصل في دنيا السِّياسية بعنوان «اللجوء السياسي».

كما أنه لا بدَّ أن يفكّر في الوقت المناسب، فيحدّد لنفسه (متى) يكون الوقت مناسبًا للفرار والهروب؟

هذا بشكل مختصر تلخيص لعملية الهروب، وما يصاحبها من تساؤلات وظروف تحيط بها في الدنيا.

وعملية الهروب من طغاة الدنيا ليست بالعملية السهلة والبسيطة، بل فيها من المتاعب والشقاء ما ينهك قوى الإنسان، وتجد في دعاء الجوشن الصغير ما يشير إلى ذلك.[١]

الهروب إلى الله

أما الهروب من الله، فيحصل، ولكن ليس إلى جهة أخرى، وإنما يكون الهروب من الله إلى الله، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأنا عَائذٌ بفضلِكَ، هاربٌ منكَ إليك، مُتَنَجِّزٌ مَا وَعَدْتَ من الصَّفْحِ عَمَّنْ أحسنَ بِكَ ظنًّا»[٢]؛ لأنه لا توجد جهةٌ ثانية خارج سيطرة القدرة الإلهية، فإلى مَنْ يلتجئُ العبد إلا إلى خالقه؟

وإلى أين يهرب الإنسان من الله وهو خالق الزمان والمكان ومالكهما؟

لماذا الهروب؟

أما لماذا الهروب من الله؟

فالسبب هو العصيان الناتج عن ضعف الإنسان، واستسلامه أمام المغريات، يقول الإمام السجاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة: «إلهي، لمْ أعصِكَ حِينَ عَصَيتُكَ وأنا بربُوبيَّتِكَ جَاحِد، ولا بأمرِكَ مُسْتَخِف، ولا لِعُقوبَتِكَ مُتَعَرِض،

١- يراجع دعاء الجوشن الصغير، مفاتيح الجنان، ص١٤٤.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤١.

ولا لِوَعِيدِكَ مُتَهَاوِن، لكنْ خطيئةٌ عَرَضَتْ وسَوَّلتْ لي نفسي، وَغَلبني هَوَاي، وَأَعَانني عَليها شِقْوَتي وَغَرَّني سترُكَ المُرْخى عليَّ، فقدْ عَصَيتُك وخالفتُك بجهدي، فالآن من عذابك مَن يستنقذني؟ ومَن أيدي الخصماءِ غَدًا مَنْ يخلصني؟ وبحبلِ مَنْ أتصلُ إنْ أنتَ قَطَعْتَ حبلَكَ عني».[١]

كيف الهروب من الله؟

أما كيف الهروب من الله؟

فيكون الهروب بعين الله وبعلمه وتحت رعايته، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.[٢]

إذًا، الهروب من الله ليس كالهروب من الإنسان الذي يستلزم استغفاله والتواري عنه؛ لأن الله لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء، فيكون هروب عبده بعلمه وتحت رعايته وشفقته وعطفه.

الهروب إلى غير الله مستحيل

بعد أن يقرّر الإنسان الهروب من الله، يتلفت يمينًا وشمالًا يبحث عن جهةٍ يهربُ إليها، فيأتيه الجواب على لسان الإمام علي عليه السلام: «إلهي، وربّي مَنْ لي غيرُكَ أسألُهُ كَشْفَ ضُرّي، والنظرَ في أمري».[٣]

١- المصدر السابق، ص٢٤٥.

٢- سورة الذاريات: ٥٠.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٧.

ومن قوله عليه السلام: «اللَّهمَّ، عَظُمَ سُلطانُك، وَعَلا مَكَانُك، وخَفِيَ مَكْرُك، وَظَهَرَ أمرُك، وَغَلَبَ قَهْرُك، وَجَرَتْ قدرتُك، ولا يُمْكنُ الفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِك»؟[١]

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «فإنْ طردتني عَنْ بَابِكَ فبمَنْ ألوذ؟، وإن رَدَدْتَني عَنْ جنَابِكَ فبمَنْ أعوذ»؟[٢]

وفي مقطعٍ آخر: «إلهي، هلْ يرجعُ العبدُ الآبقُ إلَّا إلى مَوْلاه، أم هل يجيرُهُ مِنْ سخَطِهِ أحدٌ سواه»؟[٣]

متى يكون الهروب إلى الله؟

الهروب إلى الله ينبغي أن يكون من الآن ومن هذه اللحظة، وألا يسوّفه الإنسان؛ لأن التسويف من وظائف النفس الأمَّارة بالسوء التي يصفها الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «تسرعُ بي إلى الحَوْبَةِ، وَتُسَوِفُني بالتوبة».[٤]

كما ينبغي للإنسان أن يستفيد من المواسم المقدسة كشهر رمضان، ويوم عرفة، والأماكن المقدسة كالكعبة المشرفة، ومشاهد أهل البيت عليهم السلام ؛ لأن الدعاء عندهم مستجاب ببركتهم عليهم السلام .

١- المصدر السابق، دعاء كميل، ص٩٦.

٢- الصحيفة السجادية، مناجاة التائبين، ص٢٩٣.

٣- الصحيفة السجادية، مناجاة التائبين، ص٢٩٤.

٤- الصحيفة السجادية، مناجاة الشاكين، ص٢٩٦.

نتيجة الهروب إلى الله

نتيجة الهروب إلى الله تعالى هو الدخول في ساحة رحمته ومغفرته؛ لأنَّ الهروب يكون هروبًا إلى ربٍّ رحيمٍ عطوفٍ توَّابٍ، كما أنَّ الإنسان ليس لديه خيار آخر غير الهروب إلى الله، فالهروب إلى الله هو الخيار الوحيد يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهمَّ، إنِّي أجد سبل المطالب إليك مشرعة ومناهل الرجاء لديك مترعة والاستعانة بفضلك لمَن أملّك مباحة، وأبواب الدعاءِ إليك للصارِخينَ مفتوحة، وأعلم أنك للراجين بموضع إجابة وللملهوفين بمرصد إغاثة ...».[١]

ومن نتائج الهروب إلى الله هو ما ورد في دعاء الافتتاح عن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: «الحمد لله الذي لا يُهتكُ حجابُهُ، ولا يُغلقُ بابُهُ، ولا يُرَدُّ سائلُهُ، ولا يُخيَّبُ آملُهُ.

الحمدُ للهِ الذي يُؤمنُ الخائفين، وينجي الصالحين».[٢]

إذًا، الله قد فتح بابه لمَن أراد الهروب إليه، وتاب من ذنوبه ومعاصيه، واعترف بضعفه وتقصيره.

الهروب من الإنسان إلى الله

الهروب من الله إلى غير الله هروب مستحيل، أمَّا هروب الإنسان من الإنسان

١- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٠.

٢- المصدر السابق، دعاء الافتتاح، ص٢٣٣.

إلى الله فهو ممكن ومطلوب، فعندما يتعرّض الإنسان لظلم ظالم يلتجئ إلى الله، كما فعل الإمام موسى الكاظم عليه السلام حين دعا بدعاء الجوشن الصغير على موسى الهادي العباسي الذي همَّ بقتل الإمام الكاظم عليه السلام، وبعدما دعا الإمام بهذا الدعاء رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وآله في المنام، فأخبره بأنَّ الله سيقضي على عدوّه، وهلك موسى الهادي العباسي ببركة هذا الدعاء.[١]

والله يستجيب دعاء المظلومين، قال الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: «الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجّي الصالحين، ويرفعُ المستضعفين، ويضعُ المستكبرين، ويُهلكُ ملوكًا، ويستخلفُ آخرين.

والحمد لله قاصمِ الجبارينَ، مبيرِ الظالمينَ، مدركِ الهاربينَ، نكالِ الظالمين، صريخِ المستصرخين».[٢]

إذًا، كيف سيفرّ الظالمون من الله؟

وقد تقتضي الحكمة الإلهية إمهالهم بعض الوقت، ولكن لا بدَّ أن يأتي ذلك اليوم الذي قال عنه الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.[٣]

١- يراجع مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الصغير، ص١٤٤.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٣.

٣- سورة غافر: ١٦.

النَّار غضب الجبَّار

التَّكرار في دعاء المجير والجوشن الكبير

دعاء المجير الذي نزل به جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَام على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، والذي ذكرت له فضائل كثيرة، منها أنَّ مَن قرأ هذا الدُّعاء في أيام الليالي البيض (الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر) من شهر رمضان غفر الله جميع ذنوبه، ولو كانت بعدد الحصى والرمال وورق الأشجار، وأنه نافع لشفاء المريض، ولأداء الدين، وللغنى، والسعة.[١]

هذا الدعاء المبارك يتكون من تسعين فقرة، وكلها - ما عدا اثنتين - تنتهي بـ«أجرنا من النَّار يا مجير»، فقد ورد في بدايته: «سُبْحَانكَ يَا اللهُ، تعاليتَ يا رحمنُ، أجرنا مِن النارِ يا مجير.

سبحانكَ يا رحيمُ، تعاليتَ يا كريمُ، أجرنا من النارِ يا مجير.
سبحانكَ يا ملك، تعاليتَ يا مالك أجِرْنَا من النارِ يا مُجير».[٢]

فتكرار قول: «أجرنا من النار يا مجير» له وقع في النفس يجعل الداعي يشعر بخطر النار، وكأنه فيها الآن، ويطلب من الله تعالى أن يخرجه منها.

١- يراجع مفاتيح الجنان، دعاء المجير، ص١٢٤.

٢- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس الغمي، ص ١٢٤.

وهذا التكرار نجده في دعاء الجوشن الكبير، وفي موضوع الخلاص من النار أيضًا، فدعاء الجوشن الكبير يتكوّن من مئة فصل يحتوي كل فصل منه على عشرة أسماء من أسماء الله الحسنى، وفي آخر كل فصل يقول الداعي: «سبحانكَ يا لا إلهَ إلا أنت، الغوث الغوث خلصْنَا من النارِ يا رب».

ودعاء الجوشن الكبير مرويّ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقد هبط به جبرئيل على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو في بعض غزواته، وعليه جوشن - أي درع - ثقيل آلمه، فقال: «يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ربّك يقرؤك السَّلام، ويقول لك اخلع هذا الجوشن، واقرأ هذا الدعاء فهو حرز لك ولأمتك».

ولهذا الدعاء فضل عظيم، منه أن من كتبه على كفنه استحيا الله أن يعذّبه بالنار، وله فضائل أخرى تراجع في كتب الأدعية.[١]

وربما يكون هذا الفضل العظيم لهذين الدعاءين المباركين مرتبط بالتكرار الذي يشعر الإنسان بالإلحاح على الله في طلب الخلاص من النار، كما أن هذا التكرار يجعل النار حاضرة في ضمير الإنسان ووجدانه بحيث لا يقوم بعمل إلَّا والنار حاضرة وماثلة أمام عينيه.

ومن التكرار في قضية الاستعاذة من النار ما ورد في كتاب مفاتيح الجنان في استحباب قول: «أستجير بالله من النار» مئة مرَّة.[٢]

١- يراجع مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، ص١٣٠.

٢- يراجع مفاتيح الجنان، تعقيب صلاة الصبح، ص٤٦.

الملائكة والنَّار

وتحدّثنا أدعيتهم عليهم السلام عن الملائكة الذين يتأثّرون بمشهد النار حيث يرون العاصين يتعذبون فيها، فيقول الإمام زين العابدين عليه السلام متكلِّمًا عن الملائكة: «والذينَ يقولونَ إذا نظروا إلى جهنمَ تزفرُ على أهلِ معصيتِك: سبحانكَ ما عبدناكَ حقَّ عبادتِك ...، والزبانية الذين إذا قيلَ لهمْ: خذوهُ فغلوهُ، ثمَّ الجحيمَ صلُّوهُ، ابتدروهُ سراعًا، ولم ينظروه»[١]، والزَّبانية هم الملائكة الذين يدفعون المجرمين إلى النار.

تفاصيل الحياة في النَّار

تحدّثنا بعض الأدعية عن بعض التفاصيل المتعلّقة بالحياة في النار، فقد ورد في دعاء شهر رمضان: «وبراءةً من النارِ وأمانًا من العذابِ فاكتبْ لنا، وفي جهنمَ فلا تغلَّنا، وفي عذابِك وهوانِك فلا تبتلنا، ومن الزقومِ والضريعِ فلا تطعمنا، ومع الشَّياطين فلا تجعلنا، وفي النار على وجوهنا فلا تكبنا، ومن ثياب النار وسرابيل القطران فلا تلبسنا، ومن كل سوءٍ يا لا إلهَ إلا أنتَ بحق لا إلهَ إلا أنت فنجّنا».[٢]

ولو توقّفنا قليلًا عند هذه العبارات المباركة من هذا الدعاء لوجدنا أنها تهتم بالتفاصيل، وتريد من الإنسان أن يتفكّر في النار ليس بالصورة العامة للنار،

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرّب، ص٤٣.

٢- مفاتيح الجنان، ما يستحب إتيانه في ليالي شهر رمضان، ص٢٣٥.

وإنما في جزيئات حياته في النار، فبعد الصورة المجملة المتمثلة في قوله: «وبراءةً من النار وأمانًا من العذاب فاكتبْ لنا» يوضّح التفاصيل، فيقول: «وفي جهنم فلا تغلّنا»، فهناك إضافة إلى حرارة النار الأغلال التي تحدث عنها القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[١]، ويتحدّث عن طعام أهل النار وهو الزقوم والضريع، والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق كريهة الرائحة ذات لبن أبيض إذا أصاب جسد إنسان تورّم، وقد أخبر القرآن الكريم عنها فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ❖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ❖ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[٢] في إشارة إلى أن تسلّط الجوع الشديد يجعلهم يحرصون على الأكل كيفما كان.[٣]

ويثير الدعاء - أيضًا - نقطة الصحبة، فمَن سيكون أصحابنا في النار؟ «ومع الشياطين، فلا تجعلنا»، وهنا من أراد ألا يكون أصحابه الشياطين في النار ينبغي أن يمتنع عن صحبة الشياطين في الدنيا؛ لأنَّ الذي يصاحب الشياطين، ويرضى بذلك فإن هذه الصحبة تنتقل إلى عالم الآخرة، ويكون الشياطين أصحابه في النار.

ويتطرّق إلى جزئية أخرى وهي: «وفي النَّار على وجوهنا، فلا تكببنا»، ومن

١- سورة الحاقة: ٣٢.

٢- سورة الصافات: ٦٤-٦٦.

٣- مختصر الميزان في تفسير القرآن، سليم الحسني، ص٤٤٨.

الواضــح أن الوجه أكـثر تأثرًا بالنار من باقي الأعضــاء كاليدين والرجلين، كمــا أن الكـبّ في النار علــى الوجه أبلـغ في التعبير عن الــذلّ والهوان الذي يصاحب الإنسان الذي يسكن في نار جهنم.

ثم يقول: «ومن ثياب النار وســرابيل القطران، فلا تلبســنا»؛ لكي يتفكّر هذا الإنســان الذي لا يستطيع أن يتحمَّل لسعة سيجارة كيف حاله إذا كانت ثيابه – التــي يفترضــ بها أن تحميه من الحرّ، أو البرد – من النار، فهل يســتطيع أن يتحمّل هذا الوضــع: ثياب من النار، وطعام من زقوم، وصــحبة شياطين، وغضــب الله، ونــار الندامة التي تكويه على ما فــرط في طاعة الله، وعلى ما ارتكب من عصيان في دار الدنيا.

أسلوب المقارنة في دعاء أهل البيت عليهم السلام

ونلاحظ في موضــوع النار أن أهل البيت عليهم السلام ؛ من أجل أن يقرّبوا للإنسان الصــورة يقارنــون بين عــذاب النار وغــيره، وذلك لأن الإنســان لم يذق بعد عذاب النار، ولم يرَ أهل النار، ولكنه يرى الموتى أمام عينيه في كل يوم، فنرى الإمام زين العابدين عليه السلام يقارن بين الموت وما بعده حيث يقول: «مولاي، يا مولاي، أيّ الأهوال أتذكّر، وأيّها أنســى، ولو لم يكن إلا الموت لكفى، كيف وما بعد الموت أعظم وأدهى»؟[1]، ومما بعد الموت عذاب القبر والقيامة، وعذاب النار.

١- مفاتيح الجنان، كتاب الباقيات الصالحات، دعاء الحزين، ص٨١٤.

وفي دعاء كميل نجد المقارنة بين بلاء الدنيا والآخرة: «يا ربِّ، وأنت تعلمُ ضعفي عن قليلٍ من بلاءِ الدنيا وعقوباتِها، وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أن ذلك بلاءٌ ومكروهٌ قليلٌ مكثُهُ، يسيرٌ بقاؤهُ، قصيرٌ مدتهُ، فكيف احتمالي لبلاءِ الآخرةِ وجليلِ وقوعِ المكارهِ فيها، وهو بلاءٌ تطولُ مدتُهُ، ويدومُ مقامُهُ، ولا يُخففُ عن أهلِهِ، لأنَّهُ لا يكونُ إلا عن غضبِكَ وانتقامِكَ وسَخَطِك».[١]

وكذلك يقارن الإمام زين العابدين عليه السلام بين حرّ الشمس، وحرِّ النار، حيث يقول: «فأسألك اللَّهمَّ، بالمخزون من أسمائك، وبما وارتهُ الحجبُ من بهائِك، إلَّا رَحمتَ هذهِ النفسَ الجزوعةَ، وهذه الرِّمةَ الهلوعة، التي لا تستطيعُ حرَّ شمسِكَ، فكيفَ تستطيعُ حرَّ نارِك؟، والتي لا تستطيعُ صوتَ رعدِكَ، فكيفَ تستطيعُ صوتَ غضبك»؟[٢]

والرمّة: تعني العظام المندرسة البالية.

والهلوعة، أي: كثيرة الهلع والفزع.

صحبة الأشرار وفراق الأخيار

هناك العديد من الإشارات التي تناولها دعاء كميل بن زياد حول النار، منها أن عذاب النار ينبغي أن يجعل الإنسان بكَّاءً وخائفًا ذلك البكاء والخوف الذي يصدّه عن المعصية، حيث يقول عليه السلام: «يا إلهي وربّي وسيّدي ومولاي،

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في الرهبة، ص٢٤٣.

لأيّ الأمورِ إليكَ أشكو، ولِما منها أضجُّ وأبكي، لأليمِ العذابِ وشدّتِهِ، أم لطولِ البلاءِ ومدَّتِه»؟[١]

ويتطرّق إلى موضوع الصحبة، فالإنسان الذي يعيش مع الأشرار يكون عيشه معهم عذابًا، بغض النظر عمَّا إذا كانت هذه الصحبة في النار، أو في غيرها. فتصوَّر أنَّ القيامة قد قامت، وبعد الحساب ستسكن أنت مع فرعون، ونمرود، وأبي لهب، ويزيد، وصدَّام، حتَّى لو لم تكن صحبة هؤلاء في النار تكون الصحبة عذابًا، ونحن في الدنيا قد نسافر مع مَن لا نحبّ إلى أجمل بلاد الدنيا، ولكن تلك السفرة تتحوّل إلى كدر ونغص؛ وذلك لأننا لم نسعد بصحبة أصحابنا إلى تلك البلاد الجميلة.

وفي المقابل قد تسكن في كوخ متواضع بسيط بل في سجن مظلم مع وليّ من أولياء الله، فيكون ذلك الكوخ أو السجن جنَّة عظيمة، فمَن منّا لا يرغب أن يكون رفيق الإمام الكاظم في السجن لو عرض عليه ذلك؟

وهذا ما يشير إليه الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: «فلئن صيّرتني للعقوباتِ مع أعدائِك، وجمعتَ بيني وبينَ أهل بلائِكَ، وفرَّقتَ بيني وبينَ أحبائِكَ وأوليائِكَ، فهبني يا إلهي وسيّدي وربّي صبرتُ على عذابِكَ، فكيف أصبرُ على فراقِك، وهبني صبرتُ على حرِّ نارِكَ فكيف أصبرُ عن النظرِ إلى كرامتِكَ، أم كيفَ أسكنُ في النار ورجائي عفوك».[٢]

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

٢- المصدر السابق، ص٩٨.

النَّار في دعاء صلاة الليل

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل - وصف رهيب للنَّار لا يحتاج إلى الشرح بقدر ما يحتاج إلى التأمّل والتفكّر - حيث يقول عليه السلام: «اللهمَّ، إني أعوذ بك من نار تغلَّظت بها على مَن عصاك، وتوعَّدت بها مَن صدَفَ عن رضاك، ومن نارٍ نورُها ظلمةٌ، وهيِّنُها أليم، وبعيدُها قريبٌ، ومن نارٍ يأكل بعضَها بعضٌ، ويصولُ بعضها على بعضٍ، ومن نارٍ تذرُ العظامَ رميمًا، وتسقي أهلَها حميمًا، ومن نار لا تُبقي على مَنْ تضرّع إليها، ولا ترحمُ من استعطفها، ولا تقدرُ على التخفيف عمَّن خشعَ لها واستسلمَ إليها، تلقى سكانَها بأحرِّ ما لديها من أليمِ النكال، وشديدِ الوبال، وأعوذ بكَ من عقاربِها الفاغرةِ أفواهها، وحيَّاتِها الصَّالقةِ بأنيابها، وشرابها الذي يقطِّعُ أمعاءَ، وأفئدةَ سكانِها، وينزعُ قلوبهم، وأستهديك لما باعدَ منها، وأخّرَ عنها».[1]

وفي الدعاء العديد من الإشارات نمرّ عليها مرورًا سريعًا:

«تغلَّظت بها على من عصاك»، الذي يتغلّظ بالعذاب ليس هو أي مخلوق بل هو خالق المخلوقات الذي وصفه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بقوله: «وأشدُّ المعاقبينَ في موضعِ النكالِ والنقمة».[2]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه بعد الفراغ من صلاة الليل، ص١٥١.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣١.

وإذا كان نـورُ النـارِ ظلمـة، وهيِّنها أليمًـا، وبعيدُها قريبًا، فمـا بال ظلمتها وأليمها وقريبها، وإذا كانت النار يأكل بعضـها بعض، ويصـول بعضـها على بعض، فماذا سـتفعل في هذا الإنسـان المسـكين الذي تؤذيه قرصـة النملة، وعضّة البعوضة؟

وأمـا حديثـه عليه السلام عن العقارب والحيات، فالإنسـان في الدنيا يشـمئزّ من الصرصـور، والفـأر، والذبابة، فكيف يعيش مع الحيّـات والعقارب؟!، وليس حيَّـات الدنيـا وعقاربهـا، وإنمـا حيات النـار، وعقاربهـا؟ وأما المـاء الذي يشـربونه فهو الحميم الذي قال الله عنه في محكم كتابه: ﴿... وَسُـقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾.[1]

وفي نهايـة الفقرة يُلفـت الإمام عليه السلام نظـر الداعي إلى البحـث عمَّا يبعده عـن هذه النار، والعمل على تجنّب ما يقرّبه منهـا، فإنه كما قال عنه الإمام علـي عليه السلام في دعاء كميل: «يا ربِّ، ارحم ضـعف بـدني، ورقّة جلدي، ودقّة عظمي»[2]، فكيف يسـتطيع هذا البدن الضـعيف، والجلـد الرقيق، والعظم الدقيق أن يقاوم نارًا سجّرها جبّارها لغضبه؟!

نعوذ بالله منها.

١- سورة محمد: ١٥.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

المرض حينما يكون لطفًا

المرض بين مرحلتي الصَّبر والشُّكر

إذا مرضنا، فنحن ندور في دائرة، هل نصبر على المرض، أم لا نصبر عليه؟ وهنـاك درجة أرقى من هذه الدرجة، وهي الدرجة التي يتجاوز فيها المريض مرحلة الصبر، ويتعدّاها إلى مرحلة الشكر للّه على المرض.

الإمام السجّاد والدرجة الأرقى في التعامل مع المرض

لـو قرأنا دعاء الإمام زين العابديـن عليه السلام: «إذا مرض، أو نزل به كرب، أو بلية»[1] في الصـحيفة السـجادية، فسـنرى أن هناك مرحلة أرقى من هاتين المرحلتين يعيشـها الإمام زين العابدين عليه السلام، فلنستمع للإمام وهو يتحدّث عـن المرض، ونقف مع هذا النص من دعائه عليه السلام: «اللهُمَّ، لَكَ الحمدُ على مَا لَمْ أزَلْ أتصَرَّفُ فيهِ مِن سَلامَةِ بَدَني، وَلكَ الحَمْدُ على مَا أحْدَثتَ بي مِنْ عِلَّةٍ في جَسَدي، فما أدري يا إلهي، أيُّ الحالين أحقُّ بالشُكرِ لَك؟ وأيُّ الوَقتينِ أولى بالحمدِ لَك؟

أوَقْـتُ الصِـحَةِ التـي هنَّأتني فيهـا طيبـاتِ رزقِكَ، وَنَشَّـطْتَني بهـا لابتغاءِ مرضـاتِكَ وفضـلِكَ، وقوَّيتني مَعَهَا على ما وفقتني لهُ مِـن طاعَتِك، أمْ وقتُ

١- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا مرض أو نزل به كرب أو بليّة، ص٨٠.

العلَّـةِ التي محَّصـتني بها، والنِعَـمِ التي أتْحفتني بها تخفيفًا لمـا ثَقُلَ بهِ عليَّ ظهـري من السـيئاتِ، وتنبيهًا لتنـاولِ التوبـةِ، وتذكيرًا لمحـوِ الحَوْبَة بقديمِ النعمةِ، وفي خلال ذلك ما كَتَبَ ليَ الكاتبانِ مِنْ زَكِيِّ الأعمالِ، مَا لا قلبٌ فكَّرَ فيهِ وَلا لسـانٌ نَطَقَ بهِ، وَلا جَارِحَةٌ تكلّفتهُ، بلْ إفضـالًا مِنكَ عليَّ وإحسانًا مِنْ صَنيعكَ إليَّ».[1]

أين نحن من مقام الإمام؟

أين نحن من هذا الكلام، وهذا الجوّ الذي يحلِّق فيه الإمام السجّاد عليه السلام؟

نحـن إذا ابتلانا الله بمرض فمنّا مَن يصـبر، ومنّا مَن يجزع ويعترض على الله، وإذا صبرنا فمَنْ منّا يشكر الله على المرض؟

وإذا كان منّا مَنْ يشكر الله على المرض؟

فهل يوجد بيننا مَن يتحيّر كما يتحيّر الإمام في أن يشـكر الله أكثر على حال الصحة، أم على حال المرض؟

المرض قد يكون عقوبةً أو لطفًا

قد يكون المرض عقوبة - والعياذ بالله تعالى - كما نرى أن الله عاقب الناس حينمـا كثر فيهم الزنا بمرض الإيدز، وغيره من الأمراض التي تحصـد من النفوس ما لا تحصـده الحـروب المدمّرة، وقد يكون المرضـ لطفًا إلهيًّا كما

١- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا مرض أو نزل به كرب أو بليّة، ص٨٠.

حصل للإمام زين العابدين عليه السلام حينما مرض يوم عاشوراء، فكان مرضه سببًا طبيعيًّا سبّبه الله؛ لكي يحفظ الإمام من تلك الفاجعة التي ما أبقت من آل رسول الله صلى الله عليه وآله باقية.

ومع الفقرة السابقة من دعائه عليه السلام نستفيد الأمور الآتية:

١- النظرة الإيجابية لأعضاء الجسم السليمة.

«اللهُمَّ، لَكَ الحمدُ على مَا لَمْ أَزَلْ أتصَرَّفُ فيهِ مِن سَلامَةِ بَدَني»، وهي إشارة لطيفة من الإمام إلى أن على المريض ألا يلاحظ العضو المصاب من جسده فقط، فلو كان يعاني من قرحة في المعدة - مثلاً -، فينبغي عليه ألا يركز على المعدة التي تعاني من هذه القرحة، وإنما يجب أن يشكر الله على أنَّ قلبه سليم، ويده سليمة، ومخه سليم، وجهازه العصبي سليم ...، وأن الله الذي ابتلاه في عضوٍ أو عضوين من بدنه قد سلَّمَ له الكثير من الأجهزة والأعضاء في بدنه.

٢- حتّى المرض يحتاج إلى حمد.

«ولك الحمدُ على ما أحدثتَ من علَّةٍ في جَسَدي»، وهذه العلَّة - أيضًا - تحتاج إلى حمد بعد الحمد على سائر الأعضاء السليمة، لأن المرض قد يكون لطفًا، ومن أهم الألطاف التي تنزل على المريض هو غفران الذنوب، فقد ورد في المأثور أنَّ علي بن الحسين عليهما السلام إذا رأى المريض قد برأ من العلة، يقول له:

«يهنيك الطهور من الذنوب».[١]

٣- المقارنة بين حالة الصحة وحالة المرض.

وعندما يتحدث الإمام عن المرض يتحدث - أيضًا - عن الصحة، فيقول: «أَوَقْتُ الصِحَةِ التي هنَّأتني فيها طيّباتِ رزقِكَ، وَنَشَّطْتَني بها لابتغاءِ مرضاتِكَ وفضلِكَ، وقوَّيتني مَعَهَا على ما وفّقتني لهُ مِن طاعَتِك»، وهذا الكلام يستبطن عدة أمور، فهو يشير إلى ما ينبغي للأصحّاء أن يفعلوه في حالة صحّتهم، وهو في الوقت نفسه يذكر المريض بأنه كان سليمًا، ويوحي إليه تساؤلًا، وهو: هل أدَّيت شكر السلامة لله عندما كنتَ سليمًا؟

وكذلك يستفاد من كلام الإمام: أن لا فائدة من الصحة إذا كان الإنسان لا يستفيد منها في طاعة الله.

٤- المرض كفّارة للذنوب.

وعند كلامه عن المرض: «أمْ وقتُ العلَّةِ التي محَّصتني بها، والنِعَمِ التي أنْحفتني بها تخفيفًا لما ثَقُلَ بهِ عليَّ ظهري من السيئاتِ»، فإنه يشير إلى عدة فوائد من المرض إلى درجة أنه عبر عنه بأنه من «النعم التي أتحفتني بها»، ومن هذه النعم:

أ- التمحيص من الذنوب، أي تخليص الإنسان، وتنقيته منها.

١- عيون أخبار الرضا ٢/٤٥.

ب- ومنهـا: إن هذا المرضـ يعتبر كفّارة لذنوب الإنسـان، وأنه مهما بلغ من الشدّة، فإنه أقلّ بكثير من عذاب الآخرة.

ورائـع تعبـير الإمام بـ«ثقـل على ظهري» و«انغمسـت فيه من السـيئات» عن خطورة الذنوب التي لو تُركت مع الإنسـان؛ ليذهب بها إلى عالم الآخرة، ولم يتخلّص منها في الدنيا لأهلكته.

ج- ومنها: إن الذنوب تذكر الإنسان بالتوبة «وتنبيهًا؛ لتناول التوبة، وتذكيرًا؛ لمحو الحوبة»، والحوبة بمعنى الإثم؛ لأن الإنسـان في حالة الصـحة غالبًا ما يغرق في عالم الغفلة وتلهيه صـحّته عن الرجوع إلى الله، ولكنه بسـبب لطف الله الذي أمرضـه قد يتوب من معاصيه عندما يشعر بشدّة المرض، لا سيما إذا كان هذا المرض يهدّد حياته، فيكون المرض سـببًا للتوبة التي هي بدورها تنقّي الإنسـان من الذنوب، فحال هذا المريض الذي قد نزلت عليه الألطاف الإلهية في المرض أفضل من حال ذلك العاصي الذي عاش الغفلة في صحّته، وأدركه الموت قبل التوبة.

٥- يُكتبُ للمريض ما كان يعمله في صحّته

«وفي خـلال ذلك ما كَتَـبَ لِيَ الكاتبانِ مِنْ زَكِيِّ الأعمـالِ، مَا لا قلبٌ فكَّرَ فيهِ وَلا لسـانٌ نَطَقَ بـهِ، وَلا جَارِحَةٌ تكلّفتهُ، بلْ إفضـالًا مِنكَ عليَّ، وإحسـانًا مِنْ صَـنيعكَ إليَّ»[1]، أي مـن الألطاف الإلهية على المريضـ أنَّ الكاتبين يكتبان

١- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا مرض أو نزل به كرب، ص٨١.

له الأعمال الصالحة التي كان يعملها في حال صحّته دون أن يجهد نفسه في عمل تلك الأعمال الزاكية، فقد ورد عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنَّ العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل ما عمله إذا كان طليقًا حتى أطلقه، أو أكفته إليَّ»[١]، أي أضمّه إليَّ وأقبضه.

٦- المرض من أسباب التطوّر الطبي!

ومن الألطاف الإلهية في المرض أن المرض الذي يصيب الإنسان، أو الحيوان، أو النبات يجعل الإنسان يتعلّم الطب، ويحاول اكتشاف الدواء، فلولا المرض لما وُجد هذا الكم الهائل من الأطبّاء، ولما تطوّر علم الطب في كل تخصّص من التخصّصات.

٧- المرض بين الارتباط بالله والارتباط بالمجتمع

وكما أن المرض يزيد الإنسان في الارتباط بربّه، كذلك له أثرٌ في الترابط الاجتماعي، حيث يتعاطف الناس مع المريض، ويدعون له، ويعودونه في حال مرضه، أو يجمعون له التبرّعات؛ لكي تغطّي نفقات علاجه، وكل هذه الأمور تزيد من قوة الرابطة بين أفراد المجتمع، وقد عدَّ الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ عيادة المريض من الأمور المهمة، فقال في دعائه لجيرانه وأوليائه: «والأخذِ بمحاسنِ أدَبِكَ في إرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ».[٢]

١- مسند أحمد ٢/٢٠٣.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم، ص١٢٥.

٨- المرض لكي نعرف نعمة الصحة

وأخيرًا، فإن أمراض الآخرين تجعلنا نشعر بنعمة الصحة، وكما يقال: (الصحة تاج على رؤوس الأصحّاء لا يعرفه إلا المرضى)، وإن زيارة واحدة للمستشفى مع قليل من التفكّر كفيلة بمعرفة عظيم نعمة الصحة، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «إلهي وسيّدي، وكم من عبدٍ أمسى وأصبحَ عليلًا مَريضًا سقيمًا مُدْنفًا على فُرُشِ العِلَّةِ، وفي لباسيها يتقلَّبُ يَمينًا وشمالًا، لا يعرف شيئًا من لذّةِ الطعامِ ولا من لذّة الشراب، ينظرُ إلى نفسه حسرةً لا يستطيع لها ضرًّا ولا نفعًا، وأنا خلوٌ من ذلك كله بجودك وكرمك، فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدرٍ لا يُغلب وذي أناةٍ لا يعجل، صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلني لك من العابدين ولنعمائك من الشاكرين، ولآلائك من الذّاكرين، وارحمني يا أرحم الراحمين».[1]

١- مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الصغير، ص١٤٧.

اللُّطف الإلهي
في توفيق المطيعين وإمهال العاصين

ارزقنا توفيق الطَّاعة

إنَّ طاعة الله سبحانه وتعالى رغم أنها تكون باختيار العبد إلا أنها تحتاج إلى توفيق من الله كما نستفيده من دعاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «اللهمَّ ارزقنا توفيقَ الطاعةِ، وبُعدَ المعصيةِ، وعرفانَ الحرمةِ، وأكرمنا بالهدى والاستقامةِ، وسدِّدْ ألسنتنا بالصوابِ والحكمة، واملأ قلوبَنا بالعلمِ والمعرفة».[١]

فلا بدّ من توفّر عنصر التوفيق الإلهي، بالإضافة إلى الاختيار؛ لكي يقوم الإنسان بالطاعة، ويبعد عن المعصية، والتعبير الوارد في الدعاء: «ارزقنا» له دلالة على أهمية التوفيق الإلهي في عملية الطاعة والبعد عن المعصية.

توفير النيّة وتصحيح اليقين

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهمَّ، وفِّرْ بلطفِكَ نيَّتي، وصحِّحْ بما عندَكَ يَقيني، واستصْلِحْ بقدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مني».[٢]

١- مفاتيح الجنان، دعاء الحجّة، ص١٦٣.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٦.

وكل هذه الأمور تعتمد على سعي الإنسان، ولكنها تحتاج إلى توفيق من الله، فعمل الإنسان الصالح لو ملأ الخافقين بدون نيّة القرب من الله، فإنه لا ينفعه شيئًا يوم القيامة، ولذلك دعا الإمامُ اللهَ بتوفير النيّة التي هي شرط في قَبول العمل، وكذلك اليقين الصحيح، وعن علي عليه السلام: «نومٌ على يقين خير من صلاة في شك»[١]، ولذلك ورد في الدعاء طلب من الله يتعلّق بتصحيح اليقين: «واستصْلِحْ بقدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي».

الدَّاعي يطلب من الله أن يصلح ما فسد منه، ويتخلّص من كل سلبياته، ويصل إلى مرحلة ما يسمّى بالعصمة الاكتسابية، وشبيه به قوله عليه السلام في الدعاء نفسه: «اللهمَّ، لا تدَعْ خصْلةً تُعابُ مني إلا أصْلَحْتهَا، ولا عائبةً أؤنّبُ بِهَا إلا حَسَّنتَهَا، ولا أُكرُومَةً فيَّ ناقصةً إلا أتمَمْتها».[٢]

الخير والنجاة

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام السجاد عليه السلام يقول: «مِن أينَ لِيَ الخيرُ، ولا يُوجدُ إلَّا من عندك؟

ومِنْ أينَ لِيَ النجاةُ، ولا تُستطاعُ إلا بك؟

لا الذي أحْسَنَ اسْتغنى عَنْ عونِكَ ورحمتِكَ، ولا الذي أسَاءَ واجترأ عَليكَ ولمْ يُرضِكَ خَرَجَ عن قدرتِكَ يا ربِّ، يا ربِّ، يا ربِّ - حتى ينقطع النَّفس -.

١- نهج البلاغة، باب الحكم والمواعظ، حكمة رقم٩٧.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٧.

بِكَ عرفتُكَ وأنتَ دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنتَ لم أدرِ مَا أنتْ».[١]

ومن المؤكّد أن الطاعة من أهم مصاديق الخير، والبعد عن المعصية من أهم مصاديق النجاة، وكلاهما لا يوجدان إلا من عند الله كما يشير الدعاء، ومن هنا يأتي التضرّع إلى الله للحصول على الخير والنجاة.

ولا يستغني الإنسان عن الله تعالى في الحصول على الخير، فهو سبحانه وتعالى خلق الكون والإنسان، فلو صلّى الإنسان لله، فإنه يصلّي بجوارح خلقها الله، ويتنفّس الإنسان بهواءٍ خلقه الله، وفي أرض خلقها الله، وتحت سماء خلقها الله.

وباختصار: فإن هذه الصلاة لا تتمّ إلا بنعمة الله.

«ولا الذي أساءَ واجترأَ عليكَ ولمْ يُرْضِكَ خَرَجَ عَن قُدْرَتِك»، وفي هذا إشارة إلى الإمهال الذي سيأتي الحديث عنه.

التَّوفيق للتوبة

الإنسان يذنب، ثم يتوب إلى الله من ذنوبه، وهذه التوبة لا بدّ فيها من الاختيار، وكذلك التوفيق الإلهي للتوبة.

ومِن أشدّ ما ينزل على الإنسان أنه لا يوفّق للتوبة.

الموضوع واسع، ولكن نستعرض على عجلة بعض النصوص.

١- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٣٩.

يقول الإمام علي عليه السلام: «إلهي، لمْ يكنْ لي حولٌ فأنتقلَ بهِ عن معصيتِك إلَّا في وقت أيقظتني فيهِ لمحبّتِك، وكما أردتَ أنْ أكونَ كنتُ، فشكرتُك بإدخالي في كرمِك، ولتطهيرِ قلبي من أوساخِ الغفلةِ عنك».[١]

وواضح من المناجاة أن فضل انتقال الإنسان من حال المعصية إلى حال الطاعة يعود إلى أن الله تعالى أيقظ هذا الإنسان، وطهّره من المعصية.

وهناك دعاء يتحدّث بالإضافة إلى فضل الله على الإنسان في الوصول إلى التوبة عن أصل وجود التوبة، ويقارن بين سنّة التوبة في أمَّة محمد صلى الله عليه وآله، والأمم الماضية، كما يتحدّث عن عظمة نعمة التوبة، حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في التحميد لله وجل: «والحمدُ للّهِ الذي دلَّنا على التوبةِ التي لمْ نُفدْها إلَّا من فضلِهِ، فلو لم نعتدد من فضله إلا بها لقد حَسُنَ بلاؤهُ عندنا، وجلَّ إحسانُهُ إلينا، وجسُمَ فضلُهُ علينا، فما هكذا كانتْ سنّتُهُ في التوبةِ لمَنْ كانَ قبلنا، لقدْ وَضَعَ عنَّا مَا لا طاقةَ لنا به، ولمْ يُكلفنْا إلا وُسْعًا، ولم يُجَشِّمنا إلا يُسرًا، ولمْ يدعْ لأحدٍ منَّا حجّةً ولا عُذرًا، فالهالكُ منَّا من هَلَكَ عليه، والسعيدُ منَّا مَنْ رَغِبَ إليه».[٢]

١- مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية، ص٢١٠.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في التحميد، ص٣٦.

الإمهال لطف أم انتقام؟

للإمهال وجهان:

أحدهما: إيجابي، ويتمثّل في الاستفادة من المهلة التي يعطيها الله للإنسان، والابتعاد عن المعاصي خلال هذه الفترة، وينبغي للإنسان أن يستفيد من أيام المهلة كما يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «ونبّهني لذكرِكَ في أيامِ الغفلة، واستعملني بطاعتِكَ في أيامِ المُهْلة، وانهجْ لي إلى محبتِكَ سبيلًا سهلة، أكمل لي بها خيرَ الدنيا والآخرة».[١]

والوجه الآخر للإمهال: هو إمهال الطغاة؛ ليزدادوا إثمًا كما يعبِّر القرآن الكريم: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٢]، فالله يمهل مع قدرته على الانتقام السريع منهم كما يقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة: «ولا الذي أساء واجترأ عليك، ولم يرضك خرج عن قدرتك».[٣]

السحرة النموذج الإيجابي

كان السحرة في زمن موسى عليه السلام قد ناصروا فرعون وخرجوا في يوم الزينة - كما يحكي القرآن الكريم - يتحدّون الله تعالى ونبيّه موسى عليه السلام، ولكنهم تابوا إلى الله قبل انقضاء المهلة، واستفادوا منها، ففازوا بالنجاة من الكفر

١- المصدر السابق، دعاء مكارم الأخلاق، ص١٠٤.

٢- سورة آل عمران: ١٧٨.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٣٩.

والذنوب، يقول الإمام الحسين عليه السلام: «يا مَنْ لم يعجلْ على مَنْ عَصَاه مِن خَلْقِه، يا مَنْ استنقذَ السحرةَ من بعدِ طولِ الجحودِ وقد غدوا في نعمتِهِ يأكلون رزقَه، ويعبدون غيره، وقد حادّوه، ونادّوه، وكذّبوا رسلَه».[١]

إبليس والطواغيت النموذج السلبيّ

وقد يمهل الله العاصين؛ ليزدادوا إثمًا، وليس غفلة ولا عجزًا، فالله يمهل ولا يهمل، ومن هذه النماذج صدام الطاغية الذي جثم على صدر العراق، وقتل العلماء، وسجن الأولياء، وجرّ على الناس من الويلات ما لا يعدّ ولا يحصى. وكذلك من النماذج إبليس، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وقد استحوذ عليَّ عدوُّك الذي استنظرك لغوايتي فأنظرته، واستمهلك إلى يوم الدين لإضلالي، فأمهلته».[٢]

غاية المهلة

ويتحدّث الإمام زين العابدين عليه السلام عن غاية المهلة الإلهية للعاصين في دعائه يوم الفطر إذا انصرف من صلاته مخاطبًا الله تعالى: «وضربتَ الأمثال، وأطلتَ الإمهال، وأخّرتَ وأنتَ مستطيعٌ للمعاجلة، وتأنّيتَ وأنتَ مليئ بالمبادرة.

١- مفاتيح الجنان، دعاء عرفة، ص٣٣٣.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا فرغ من صلاة الليل، ص١٤٧.

لم تكـن أناتـك عجـزًا، ولا إمهالكَ وهنًا، ولا إمسـاككَ غفلـةً، ولا انتظارك مداراةً، بل لتكون حجّتُك أبلغ، وكرمُك أكمل، وإحسـانُك أوفى، ونعمتُك أتم، كلُّ ذلك كان ولم تزلْ، وهو كائنٌ ولا تزال».[١]

ومَنْ أشـدُّ خسارة من الذي لا يسـتفيد من المهلة التي يعطيها الله للعاصين؛ لكي يتوبوا؟

يقـول الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء نفسـه: «عادتُك الإحسـانُ إلى المسيئين، وسبيلكَ الإبقاءُ على المعتدين، حتى لقد غرَّتهم أناتُك عن الرجوع، وصـدَّهم إمهالُك عن النزوع، وإنما تأنيتَ بهم؛ ليفيئوا إلى أمرِك، وأمهلتهم ثقةً بدوام ملكِكَ، فمَنْ كانَ من أهلِ السعادةِ ختمتَ له بها، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الشقاوةِ خذلتهُ لها».[٢]

حال العاصين في أيام المهلة

ويصـوّر لنـا الإمام زين العابديـن عليه السلام حلم الله وإمهاله للعاصـين، حيث يقـول: «أنـا الذي أمهلتنـي فما ارعويـتُ - أي: ما ارتدعتُ -، وسـترتَ عليَّ فما اسـتحييتُ، وعملتُ بالمعاصي فتعدّيتُ، وأسقطتني من عينك فما باليتُ، فبحلمك أمهلتني، وبسـترك سـترتني، حتـى كأنَّك أغفلتنـي، ومن عقوبات المعاصي جنّبتني، حتى كأنك استحييتني».[٣]

١- المصدر السابق، من دعائه في يوم الفطر، ص٢٠٤.

٢- المصدر السابق، من دعائه في يوم الفطر، ص٢٠٣.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٥.

الخلوة والرَّقابة الاجتماعيَّة

التَّقوى جَنّة وجُنّة

الإنسان الذي يستشعر وجود الله معه في كل حال، ويراقبه في كل صغيرة وكبيرة، فإنه يعيش في جنّة من جنان الله وإن كان في الدنيا، وتلك الجنّة هي جنّة الطاعة وجنّة الشعور بالرقابة الإلهية، ولذلك فإننا نقرأ في الدعاء: «اللهمَّ، اجعلني أخشاك كأنني أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعصيتك».[١]

والتقوى هي جنّة سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهي جُنّة - بضم الجيم - تقي الإنسان من غضب الله في الدنيا والآخرة.

للخلوة وجهان

الخلوة لها وجهان: سلبي، وآخر إيجابي.

البعض يتحيّن الفرصة للخلوة؛ لكي يرتكب المعصية بعيدًا عن أعين الناس؛ لكي لا يفتضح أمره بينهم.

والبعض الآخر يبحث عن الخلوة؛ ليناجي ربَّه بعيدًا عن أعين الناس أيضًا، ولكن هذه المرة؛ لكيلا يقع في فخ الرياء والسمعة، قال الإمام زين

١- مفاتيح الجنان، دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، ص٣٣١.

العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي: «الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسرّي بغير شفيعٍ، فيقضي لي حاجتي»[١]، ولذلك كان الإمام الكاظم عليه السلام يشكر الله بعد سجنه؛ لأنَّ أجواء السجن توفّر حالة من حالات الخلوة مع الله تعالى.

استحضار حقيقة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[٢]

هناك حقيقة لا بدّ لنا أن نستحضرها في كل لحظة من لحظات حياتنا، وهذه الحقيقة تتمثّل في آية قرآنية من الجدير بنا أن نعلّقها بخط جميل في غرفتنا، ونعلّقها في عقولنا وقلوبنا وسلوكنا، آية قرآنية كلنا يعرفها ويحفظها، ولكن القليل منّا مَن يعمل بها بحذافيرها، والآية الكريمة هي: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾.[٣]

نتوارى عن أعين الناس، وندخل الغرفة في خلوة خطيرة، نتوارى عن أعين الخادمة، والطفل الصغير، والعامل البسيط، والمنظّف، وأحقر العباد، ثم نتجرّأ على ربّ العباد، وخالق الخلق، ومالك الملك!!، فيكون الله هو أهون الناظرين إلينا، وأخفّ المطلعين علينا، فنرتكب ما يغضب الله في تلك الخلوة التي هي في الحقيقة ليست بخلوة إذا نظرنا بعين: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾.[٤]

١- المصدر السابق، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٣٩.

٢- العلق: ١٤.

٣- سورة العلق: ١٤.

٤- سورة العلق: ١٤.

نخاف من هذا وذاك، ولا نخشى من الله تعالى والله يقول: ﴿... أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.[١]

يوسف أم زليخا؟

نغلق الأبواب مثلما غلّقت زليخا الأبواب، كما يقول الله تعالى: ﴿... وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢]، وكل واحد منّا حين يغلق الباب، ويختلي بنفسه إما أن يكون زليخا، فيتوارى عن أعين الناس؛ ليرتكب الجريمة في محضر ربّ العزّة، وإمَّا يكون يوسف، فيذكر نعمة ربّه عليه، ويتورّع عن ارتكاب المعاصي.

إنها لحظة الاختيار، وعليه أن يختار، والاختيار في هذه اللحظة قد يفتح له بابًا من أبواب الجنة، أو يحفر له حفرة من حفر النيران، لا سيما إذا كانت تلك اللحظة هي خاتمة حياته التي لا يدري بها: ﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[٣]

فضائح الدنيا، وفضائح الآخرة

هناك فضائح في الدنيا، وهناك فضائح في الآخرة، وفضائح الآخرة أكبر وأشدّ من فضائح الدنيا، فما بالنا نخاف فضيحة الدنيا ولا نبالي بفضائح

١- سورة التوبة: ١٣.

٢- سورة يوسف: ٢٣.

٣- سورة لقمان: ٣٤.

الآخرة؟ والإمام علي عليه السلام يقول: «إلهي، قد سترت عليّ ذنوبًا في الدنيا وأنا أحوج إلى سَترها عليَّ منك في الأخرى.

إلهي، قد أحسنتَ إليَّ إذ لم تظهرها لأحدٍ من عبادِكَ الصالحين، فلا تفضحني يوم القيامةِ على رؤوس الأشهاد».[١]

ربنا يظهر الجميل، ويستر القبيح

نرتكب المعاصي وربّنا يستر علينا كما ورد عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «يا مَن أظهر الجميل، وستر القبيح، يا مَن لم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر».[٢] الله يستر علينا ولكننا لا نستر على أنفسنا، فنرتكب المعصية بعد المعصية، ونتبع الذنب بالذنب.

الله تعالى لا يريد فضيحتنا، قال الإمام علي عليه السلام في المناجاة الشعبانية: «إلهي، لو أردت هواني لم تهدني، ولو أردت فضيحتي لم تعافني».[٣]

وبمجرد أن تفوح رائحة الفضيحة ينهار الإنسان مهما كان ماضيه مشرّفًا وجهوده عظيمة، لأن الناس لا ترحم، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يلحّ في دعائه كما ورد عن الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: «ولا تفضحني بخفيّ ما اطّلعت عليه من سرّي»[٤]، وقال الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه: «ويا من

١- مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية، ص٢٠٩.
٢- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ٧٨.
٣- المصدر السابق، المناجاة الشعبانية، ص٢٠٩.
٤- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٧.

تظهـر عنده بواطن الأخبار، صـلّ على محمد وآله، ولا تفضـحنا لديك»[١]، وقال أيضًا: «أنا يا ربَّ الذي لم أستحيك في الخلاء»[٢]، وفي دعاء كميل: «وكل سيّئةٍ أمرت بها الكرام الكاتبين الذين وكّلتهم بحفظ ما يكون منّي، وجعلتهم شـهودًا علـيَّ مع جوارحي، وكنت أنـت الرقيب عليَّ من ورائهم والشـاهد لما خفي عنهم، وبرحمتك أخفيته وبفضلك سترته».[٣]

فالله بفضله يستر بعض الذنوب حتى عن ملائكته.

لا للازدواجية

كمـا ينبغي على الإنسـان أن يجتهد في أن يصـبح ظاهـره وباطنه واحدًا ولا يعيشـ الازدواجية، فإن عليه أن يعيش المعادلة الرائعة التي يسـطّرها الإمام زيـن العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «اللَّهمَّ، صـلِّ على محمدٍ وآل محمد، ولا ترفعني في الناس درجةً إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحدث لي عزًّا ظاهرًا إلا أحدثت لي ذلّةً باطنةً عند نفسي بقدرها».[٤]

دوافع ارتكاب المعاصي في الخلوة

المتتبـع لدعـاء أهل البيت عليهم السلام يجـد أن دوافع ارتكاب المعاصـي في الخلوة تتمثّل في العناصر الآتية:

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ص٥١.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٥.

٣- المصدر السابق، دعاء كميل، ص١٠٠.

٤- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٧.

١. الجهل.

٢. الغفلة.

٣. الشهوة.

٤. إساءة الأدب مع الله تعالى.

٥. البعد عن الرقابة الاجتماعية.

٦. الشعور بأن العقوبة الإلهية مؤجّلة والأمن من مكر الله.

وهذا ما يتجلّى في النصوص الآتية، فقد ورد في دعاء كميل: «ظلمت نفسي، وتجرّأت بجهلي»[١]، وفي فقرة أخرى: «ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عملته في خلواتي من سوء فعلي وإساءتي، ودوام تفريطي وجهالتي، وكثرة شهواتي وغفلتي».[٢]

الله تعالى يؤخر العقوبة كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي: «ستّار العيوب غفّار الذنوب علّام العيوب، تستر الذنب بكرمك، وتؤخّر العقوبة بحلمك»[٣]، ولكن الإنسان من خلال جرأته على ربّه في الخلوات قد يعرض نفسه إلى تعجيل العقوبة، ففي دعاء كميل: «ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عملته في خلواتي»[٤]، مما يشير إلى وجود علاقة بين تعجيل العقوبة، وارتكاب المعاصي في الخلوة، وفي هذا المعنى قال الإمام

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٧.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤١.

٤- المصدر السابق، دعاء كميل، ص٩٧.

السـجاد عليه السلام: «فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرُكَ ما فعلته، ولو خِفتُ تعجيلَ العقوبةِ لاجتنبته».[١]

الوقاية من شرِّ الخلوة

الوقاية من شـرّ الخلوة تتلخّص في ما ذكره الإمام السجّاد عليه السلام: «وارزقني صحة في عبادة، وفراغًا في زهادة، وعلمًا في استعمال، وورعًا في إجمال».[٢]

١- المصدر السابق، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤١.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص١٠٤.

الاستعاذة من الشيطان

بين الضلال الشيطاني، والظلم السلطاني

الإنسان المؤمن يستعيذ بالله، ويلجأ إليه من شرّ الشيطان الرجيم، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأعوذُ بكَ يا ربِّ من هَمَزَاتِ الشياطينْ، وأحترزُ بسلطانِكَ من جَورِ السلاطين».[١]

وقد ورد في أكثر من موضع ذِكر الشيطان مقرونًا بالسُّلطان الجائر، كما في دعاء الإمام السجّاد عليه السلام: «وأعوذُ بهِ من شرِّ الشيطانِ الذي يزيدُني ذنبًا إلى ذنبي، وأحترزُ بهِ من كلِّ جَبَّارٍ فاجرٍ وسلطانٍ جائرٍ وعدوٍ قاهر»[٢]، وفي دعاءٍ آخر للسجاد عليه السلام: «واكفنا حَدَّ نوائبِ الزمان، وشرَّ مصائدِ الشيطانِ، ومرارةَ صولةِ السلطان».[٣]

لعلَّكَ لاحظت - عزيزي القارئ - أنه قدّم ذِكر الشيطان في النصوص الثلاثة المذكورة على السلطان الجائر، ولعل في ذلك إشارة إلى أن خطورة الشيطان أشدّ على الإنسان من خطورة السلطان الجائر، فينبغي علينا أن نخشى على أنفسنا من الضلال الشيطاني أكثر من خشيتنا على أبداننا من

١- الصحيفة السجادية، دعاء يوم الأحد، ص٢٧٧.

٢- المصدر السابق، دعاء يوم الثلاثاء، ص٢٨٢.

٣- المصدر السابق، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ص٥٢.

الظلم السلطاني، ولعلك لاحظت أن لفظ الشيطان جاء مفردًا تارة، وجمعًا تارة أخرى في إشارة إلى شياطين الجنّ والإنس.

وأعذني وذرّيتي

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لأولاده: «وأعذني وذرّيتي من الشيطانِ الرجيم»[١]، نلاحظ أنَّ الإمام عليه السلام أضاف الذرّية إلى نفسه عندما استعاذ بالله من الشيطان الرجيم انطلاقًا من المفهوم القرآني: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... ﴾[٢]، وهذه مشكلة اجتماعية خطيرة، حيث نرى الكثير من المؤمنين يلتزمون بالدين وتعاليمه، ولكنهم لا يهتمون بأهليهم في هذه الناحية، ثم يقول عليه السلام مكمّلًا الفقرة السابقة: «فإنكَ خلقتنا وأمرتنا ونهيتنا، ورغَّبتنا في ثوابِ ما أمرتنا، ورهَّبتنا عقابه».

إذًا، مهمّتنا واضحة، والحلال بيّن، والحرام بيّن، وعاقبة من يطيع الله الجنة، ومن يعصيه النار.

إمكانات العدو

عندما ندخل حربًا لا بدّ لنا من دراسة إمكانات العدو وقدراته على حربنا،

١- المصدر السابق، من دعائه لأولاده، ص١٢٢.

٢- سورة التحريم: ٦.

وتحطيم قوّتنا، ونفكّر في وسائل الدفاع التي ينبغي علينا اتّباعها؛ لكي نواجه ذلك العدو.

الإمام السجّاد عليه السلام يبيّن لنا إمكانات وقدرات العدو، فيقول عليه السلام: «وجعلتَ لنا عدوًّا يكيدُنا سلطتهُ عَلَى ما لمْ تُسلّطنا عليه منه، أسكنْتَهُ صُدُورَنا، وأجريتهُ مجاريَ دمائِنا، لا يغفلُ إنْ غفلنا، ولا ينسى إنْ نسينا»[١]، ففي هذه الفقرة يوضّح الإمام الإمكانات الكبيرة التي يمتلكها الشيطان الرجيم، فنحن لا نستطيع التأثير على الشيطان بينما هو يستطيع التأثير علينا - إن أعطيناه الفرصة - وهو يجري منّا مجرى الدم، ولا يتعرّض للغفلة والنسيان بينما نحن نتعرّض لهما.

الاستعاذة خطة الدفاع

وهنا لا بدَّ لنا من استراتيجية دفاعية تمكّننا من الانتصار على العدو، فكما أن الدولة الضعيفة عندما تتعرّض لهجوم من دولة أقوى تلجأ إلى دولة أقوى من الدولة المعتدية - كما لجأت الكويت إلى التحالف؛ لتخليصها من صدام - كذلك نحن نحتاج إلى قوّة أقوى من عدّونا، وهذه القوّة هي قوّة الله الذي نستعيذ به من الشيطان، وهنا تبرز أهمية الاستعاذة.

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لأولاده، ص١٢٢.

مهمّات الشيطان

ثم يقول عليه السلام موضّحًا أهم مهمات الشيطان؛ لإغواء الإنسان: «يؤمننا عقابَكَ، ويخوّفنا بغيرِك، إنْ هَمَمْنا بفاحشةٍ شجَّعنا عليها، وإنْ هَمَمْنا بعملٍ صالحٍ ثبّطنا عنه، يتعرّضُ لنا بالشَّهوات، وينصبُ لنا بالشبهات، إنْ وَعَدَنَا كَذَبَنَا، وإن منَّانَا أخلفنَا، وإلَّا تصرفْ عنا كيدَهُ يُضلَّنا، وإلَّا تقنا خباله يستزلنا.

اللهمَّ، فاقهرْ سلطانهُ عنّا بسلطانك حتى تحبسهُ عنّا بكثرةِ الدعاءِ لك، فنصبح من كيده في المعصومين بك».[١]

وهنا يشير الإمام إلى الأهمية البالغة للدعاء في التخلّص من كيد العدو الشيطاني.

أما في مناجاة الشاكين، فيستعمل الإمام عليه السلام لفظة أشكو بدلًا من أستعيذ، فيقول مشيرًا - أيضًا - إلى مهمات الشيطان الرجيم: «إلهي أشكو إليك عدوًا يُضلّني، وشيطانًا يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزيّن لي حبّ الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعةِ والزلفى».[٢]

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق، مناجاة الشاكين، ص٢٩٦.

مكائد الشيطان

وكما أن الأعداء في الحرب يزرعون الطريق بالألغام والقنابل، كذلك الشيطان له مصائد ومكائد، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهم، إنا نعوذ بك من نزغاتِ الشيطانِ وكيدِهِ ومكائدِه»[١]، وذلك أن الشيطان له العديد من أساليب الإغواء وأبواب الضلال، فيبحث عن نقاط الضعف عند الإنسان التي تختلف من شخص لآخر، فيدخل من باب النساء لهذا الشخص، أو من باب المال عند ذلك الشخص، أو من باب الشهرة، أو العجب والرياء، أو الحقد والبغضاء والحسد والظلم ... إلخ.

ثم يقول عليه السلام: «وأن يُطمعَ نفسه في إضلالنا عن طاعتك، وامتهاننا بمعصيتك، أو أنْ يَحسنَ عندنا ما حسَّنَ لنا، أو أنْ يثقلَ علينا ما كرَّه إلينا».[٢]

مداومتنا على الطاعة، واجتنابنا عن المعصية تجعل الشيطان ييأس منّا ويبتعد عنّا، أمّا إذا استجبنا له مرة بعد أخرى، فإنه يطمع نفسه في إضلالنا، وعندها نحقّق هدف عدوّنا الشيطان في التزيين لأعمال السوء، فنرى الباطل جميلًا، ونتلذّذ به، ونستأنس في أجوائه، وتثقل علينا الطاعات والعبادات، فنبتعد عنها، ونجتنبها، فنقع حينها في مصائد الشيطان.

١- المصدر السابق، من دعائه إذا ذكر الشيطان، ص٨٩.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا ذكر الشيطان، ص٨٩.

فلنغلق عليه جميع المنافذ

ينبغي علينا أن نشـدّد الحراسـة؛ لكي لا يتسلّل الشـيطان من أيّ منفذ، وأن نتأكّد من أن جميع كاميرات المراقبة تعمل بصـورة صحيحة؛ لأن أيّ اختراق مـن قبل الشـيطان لموقع من مواقـع النفس، أو القلب يمثّل تهديدًا لمصـيرنا وعلاقتنـا بالله، يقول الإمام عليه السلام في الدعاء نفسـه: «اللهمَّ، لا تجعل له في قلوبنا مدخلًا، ولا توطن له فيما لدينا منزلًا».[١]

ولـو كنّا نحكم جميـع المنافذ كما كنّا أيام حرب الخليـج الثانية نحكم جميع النوافذ خوفًا من الغازات الكيماوية لكنّا بخير كثير.

لنتسلّح بالمعرفة والعمل

إذًا، لا بدّ لنا من المعرفة بأسـاليبه وخططه؛ لكي نبطلها، والكثير منا يعرف خططه وأسـاليبه، ولكنه على المسـتوى العملي لا يتّخذ الإجراءات المناسـبة لمواجهته، فلذلك يقول الإمام عليه السلام في الدعاء نفسـه: «اللهمَّ، ما سوَّلَ - أي زيَّـنَ - لنـا منْ باطلٍ فعرِّفنـاهُ، وإذا عرّفتنا فقناهُ، وبصّـرنا مـا نكايدهُ به، وألهمنا ما نعدّه له، وأيقظنا عنِ سـنّة الغفلة بالركون إليه، وأحسن بتوفيقك عوننا عليه».[٢]

والغفلة على المسـتوى الدنيوي خطيرة، فغفلة السـائق لحظة واحدة قد يكون ثمنها حياته وحياة مَن معه في السيارة، وحياة آخرين.

١- المصدر السابق، ص٩٠.

٢- المصدر السابق.

والغفلـة في الأمور الأخروية أشـدّ خطـورة، لأنها مرتبطة بالحيـاة الأبدية، ولذلك ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام: «وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى حَوْلِي وَقُوَّتِي دُونَ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ».[١]

البعد الاجتماعي في دعاء أهل البيت عليهم السلام

ورد في دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله في شـهر رمضان المبارك: «اللهمَّ، أدخل على أهل القبور السرور.

اللَّهمَّ، أغنِ كلَّ فقير.

اللَّهمَّ، أشبع كلَّ جائع.

اللَّهمَّ، اكْسُ كل عريان.

اللَّهمَّ، اقضِ دين كل مَدين.

اللَّهمَّ، فرّج عن كل مكروب.

اللَّهمَّ، ردَّ كل غريب.

اللَّهمَّ، فكَّ كلَّ أسير.

اللَّهمَّ، أصلح كلَّ فاسد من أمور المسلمين.

اللَّهمَّ، اشفِ كل مريض.

اللَّهمَّ، سُدَّ فقرنا بغناك.

اللَّهمَّ، غيِّر سوءَ حالِنا بِحسنِ حالك.

١- المصدر السابق، دعاء عرفة، ص٢٢٢.

اللَّهمَّ، اقض عنَّا الدَين، وأغننا من الفقر، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير».[١]

هـذا الدعـاء يحمل بعدًا اجتماعيًّـا، بحيث لا يركّز علـى حوائج الداعي، بل يركّـز على معاناة الآخريـن، بحيث يطلب من المسـلم أن يفكّر في الآخرين، ويعيش معاناتهم، ويتألّم من أجلهم.

والدعـاء لا يتضـمّن الجانب الغَيبي في كل هذه الأمور فحسـب، بل يتضـمن بصـورة غير مباشـرة أن يكون الداعي مسـاهمًا في علاج كل هذه المشـاكل في المجتمـع، فيدعو للموتى بالرحمة، ويسـاهم في دعم الفقراء والمحتاجين، ويشـبع الجائعـين ...، إلـخ، فهـو لا يفكّر في نفسـه فقط، بل يعيش معاناة المحرومـين، ويـعـمل على سـدّ نواقص المجتمع. وقـد روي في حديث عن النّبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّـه قام في الصـلاة، فقال أعرابـيّ وهو في الصـلاة: اللّهم ارحمنـي ومحمّـداً، ولا ترحم معنا أحداً. فلمّا سـلّم رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال للأَعرابي: «لقد تَحَجرْتَ واسعاً»، أي جعلت شيئاً واسعاً، أمراً ضيقاً محدوداً، فـالرحمة الإلهية لا تنحصر في أحـد من الناس»[٢]، فقد نهاه النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن هذا الدعاء، وعلَّمه أن يحبّ الخير لغيره كما يحبّه لنفسه.

ودخـل الحسـن علـى أمِّـه في محرابهـا، فوجدهـا راكعـة تدعـو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمِّيهم، وتـكـثـر الدُّعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشئ!، فـقـال

١- مفاتيح الجنان، أعمال شهر رمضان، ص٢٢٨.

٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج ٤، ص٣٧٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥ م.

سبط رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أمّاه، ألا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟» فقالت الزهراء عليها السلام: «يا بُنيَّ، الجار ثم الدَّار».[١]

الإنسان المؤمن كما يحبّ لنفسه الخير يحبّه لغيره، ويسأل الله أن يجعله واسطة هذا الخير كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «وأجرِ للناس على يديَّ الخير، ولا تمحقه بالمنّ».[٢]

ومن جانب المحافظة على الأواصر والعلاقات الاجتماعية يتحدّث الإمام عليه السلام في نفس الدعاء: «اللهمَّ، صلِّ على محمد وآل محمد، وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبّة، ومن حسد أهل البغي المودّة، ومن ظنّة أهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأدنين الولاية، ومن عقوق ذوي الأرحام المبرَّة».[٣]

ويعلّمنا الإمام عليه السلام أن نبادر في إصلاح ما فسد من علاقتنا، وأن نبدي أكبر قدر من التسامح والعفو، حيث يقول عليه السلام في نفس الدعاء: «اللهمَّ، صلِّ على محمد وآله، وسدّدني لأن أعارض من غشّني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبرّ، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من قطعني بالصِّلة، وأخالف مَن اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة»[٤]، وهذه الصفات لو تحلّى بها أحد طرفي النزاع الذي يحدث في المجتمع لاستطاع

١- دلائل الإمامة، ص١٥٢.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٦.
٣- المصدر السابق، ص٩٧.
٤- المصدر السابق، ص٩٨.

بهذه الأخلاق العالية أن ينهي النزاع، ويستطيع أن يجعل من عدوّه صديقًا حميمًا، وهذا ما يحثّنا عليه القرآن الكريم أيضًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.[١]

الإمام زين العابدين عليه السلام يرفض أن تكون العلاقات الاجتماعية قائمة على أساس المصالح المادية، بل ينبغي أن تأخذ في اعتبارها رضا الله، فلذلك ينبغي أن لا تهمل الطبقات المستضعفة والفقيرة، يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «اللهمَّ، حبِّب إليَّ صحبة الفقراء، وأعنّي على صحبتهم بحُسن الصبر».[٢] وتحتلّ العلاقات الاجتماعية مساحة واسعة من أدعية أهل البيت عليهم السلام، والصحيفة السجادية المباركة، فقد خصّص الإمام السجّاد عليه السلام دعاءً للوالدين ورد فيه: «اللهمَّ، اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأمّ الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديَّ وبرّي بهما أقرَّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلجَ لصدري من رقدة الوسنان».[٣]

كما أن له دعاء لأولاده وآخر لجيرانه، لا يتّسع المجال لعرضها، ويستحق كل عنوان من هذه العناوين إلى موضوع خاص.

١- سورة فصلت: ٣٤.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في المعونة على قضاء الدين، ص١٣٨.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه لأبويه، ص١١٨.

الخير والاختيار واتّخاذ القرار

تحمّل مسؤولية الاختيار

حينما يصل الإنسان إلى مرحلة الإدراك - وربّما قبل ذلك - لا يقوم بخطوة من خطوات حياته إلا بعد أن يقوم بخطوتين:

١. الاختيار.

٢. اتّخاذ القرار.

ثم تلي هاتين العمليتين عملية ثالثة، وهي تحمّل مسؤولية الاختيار، واتّخاذ القرار.

الاختيار قد يكون في أمرٍ عظيم ومصيري مثل اختيار الدين والمذهب الفكري للإنسان، وقد يكون في أمر بسيط كزيارة صديق أو منطقة معيّنة، ولكن حتى هذه الأمور التي تبدو وكأنها بسيطة قد يكون فيها الاختيار خطيرًا؛ لأنها قد تتحوّل إلى منعطف خطير في حياة الإنسان، فقد تكون تلك الزيارة بوابة من بوابات الجحيم، أو مفتاح من مفاتيح الجنان.

صعوبة الاختيار وفائدة الاستخارة

في كثير من الأحيان يصعب الاختيار على الإنسان، وذلك لجهل الإنسان بعاقبة اختياره: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي

السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١]، ولذلك يستحبّ للإنسان الاستخارة.

وهناك طرق عديدة للاستخارة واردة عن أهل البيت عليهم السلام، وفائدة الاستخارة هي معالجة حالة التردّد التي تعتري الإنسان قبل أن يقدم على خطوة ما، وهذا التردّد قد يحرمه من التربّع على كرسيٍ عظيم، أو يحرمه من الحصول على درجة عالية من درجات الدنيا أو الآخرة.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الاستخارة من الصحيفة السجادية: «اللهمَّ، إني أستخيرُك بعلمك».[٢]

والاستخارة هي طلب الخير، وخَارَ الله لك أي أعطاك ما هو خير لك.

ثم يقول: «فصلِّ على محمدٍ وآلهِ، وألهمنا معرفةَ الاختيار»، أي: ألقِ في قلوبنا معرفة الأمر الذي هو أصلح لنا.

ثم يقول: «واجعل ذلك ذريعةً إلى الرضا بما قضيتَ لنا».

وهنا نلاحظ أنَّ الإمام يركّز على أن نتيجة الاختيار يجب أن تتطابق مع الرضا الإلهي، وليس من الخير أن يحصل الإنسان على أرباح طائلة من

١- سورة الأعراف: ١٨٨.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاستخارة، ص١٥٤.

طرق مشبوهة غير شرعية؛ لأن هذه النتيجة لا تفضي إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

قد يطلب الإنسان ما يضرّه!

قد يطلب الإنسان من الله أمورًا يراها مفيدة له في ظاهرها، ولكنها في الحقيقة والواقع مضرّة - والله أعلم بحقائق الأمور -، يقول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: «ولعلَّ الذي أبطأ عني هو خيرٌ لي لعلمك بعاقبة الأمور».[١]

ويقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء الأضحى، والجمعة من الصحيفة: «واستجب لي جميع ما سألتُك وطلبتُ إليك ورغبت فيه إليك، وأرده وقدرهُ واقضهِ وامضهِ، وخر لي فيما تقضي منه، وبارك لي في ذلك، وتفضّل عليَّ به، وأسعدني بما تعطيني منه، وزدني من فضلك وسعة ما عندك، فإنك واسعٌ كريم، وصلِّ ذلك بخير الآخرة ونعيمها يا أرحم الراحمين».[٢]

فقوله: «وخِر لي فيما تقضي منه» يشير إلى أن الله هو العالم بما هو خيرٌ للإنسان الذي قد يطلب في دعائه ما يضرّه من حيث لا يشعر، كما يركّز الإنسان على خير الآخرة ونعيمها، لأنه هو الخير الحقيقي والأبدي الدائم الذي يجب على الإنسان أن يضعه نصب عينيه في كل خطوة يقوم بها، وفي كل اختيار يختاره.

١- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٢.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في يوم الأضحى ويوم الجمعة، ص٢٣٥.

اختيارك قاصر واختيار الله كامل

لأن الإنسان وتفكيره وإدراكه وعلمه قاصر، فإنه يقدّم اختيار الله على اختياره وتدبير الله على تدبيره ويسلم بما يقسمه الله له، يقول الإمام الحسين عليه السلام: «اللهمَّ، أغنني بتدبيركَ عن تدبيري وباختيارك عن اختياري».[١]

البحث عن الخير

الإنسان بطبيعته يبحث عن الكمال والخير.

فأين يجد الخير؟

إذا كنَّا نبحث عن الخير، فسنجده في هذا الدعاء: «يا خيرَ ذاكر ومذكور، يا خيرَ شاكرٍ ومشكور، يا خيرَ حامدٍ ومحمود، يا خيرَ شاهدٍ ومشهود، يا خيرَ داعٍ ومدعو، يا خير مجيبٍ ومُجاب، يا خيرَ مؤنسٍ وأنيس، يا خيرَ صاحبٍ وجليس، يا خيرَ مقصودٍ ومطلوب، يا خيرَ حبيبٍ ومحبوب».[٢]

وإذا كانت هذه الفقرة تتكلّم عن الخير بصورة مباشرة، فإن باقي فقرات دعاء الجوشن الكبير تشير بصورة غير مباشرة أن الخير كل الخير في توثيق العلاقة بالله، والارتباط به سبحانه وتعالى.

١- مفاتيح الجنان، دعاء عرفة، ص٣٤٠.

٢- المصدر السابق، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٩٥، ص١٤٣.

ماذا نختار؟

يقـول الإمـام زين العابدين عليه السلام: «اللهمَّ، ومتى وقفنا بين نقصـين في دينٍ أو دنيا، فأوقع النقص بأسـرعهما فناءً، واجعـل التوبةَ في أطولهما بقاءً»[١]، فـنرى الإمـام يعلّل لنا اختيـار الآخرة علـى الدنيا وهو بقاء الآخـرة، وفناء الدنيا.

السيطرة على النفس في الاختيار

عملية الاختيار يسبقها صراع بين النفس الأمّارة بالسوء التي تدفع بالإنسان نحـو الهاوية، وبين قوى الخير في نفس الإنسـان التي تحثّـه على طاعة الله، والعزوف عن الشهوات والأطماع التي تبعده عن الله تعالى، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وإذا همَمْنا بهمّين يرضيك أحدُهما عنّا، ويسخطك الآخرُ علينـا فملْ بنا إلى ما يرضـيك عنّـا، وأوهن قوّتنا عما يسـخطك علينا، ولا تخلِّ في ذلك بين نفوسنا واختيارها، فإنها مختارةٌ للباطل إلَّا ما وفقت أمارةٌ بالسوءِ إلا ما رحِمت».[٢]

وكثيرًا ما يضـعف الإنسـان أمام هذه القوّة التي يتكلّم عنها الإمام، ويجرفه التيار نحو الهاوية.

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله، ص٦٣.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله، ص٦٣.

الاستفادة من تجارب الآخرين في الاختيار

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «فكم قد رأيتُ يا إلهي، من أناس قد طلبوا العزَّ بغيركَ فذلّوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتّضعوا، فصح بمعاينة أمثالهم حازمٌ وفقه اعتباره، وأرشده إلى طريق الصواب اختياره».[١]

أمامك الملايين من التجارب في التاريخ، حيث الاختيارات، واتّخاذ القرارات من قبل الملايين من الناس، ونتائج هذه الاختيارات بين يديك، وما عليك إلا أن تتفكّر قليلًا، وتستفيد من تجارب الآخرين السلبية منها والإيجابية.

وقت الاختيار واتّخاذ القرار

قد يكون هناك متّسع من الوقت للاختيار واتّخاذ القرار، وقد تكون الفرصة محدودة والوقت ضيّق، وإذا انتهى الوقت وفات الفوت، فلا يستطيع الإنسان أن يتدارك ما كان يصبو إليه من الخير من خلال اختياره، يقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «ونبّهني لذكرك في أوقات الغفلة، واستعملني بطاعتك في أوقات المهلة».[٢]

وينبغي علينا التوقّف قليلًا عند كلمة (المهلة) والتفكّر فيها مليًّا، فإذا قال

١- المصدر السابق، من دعائه في التفرغ إلى الله، ص١٣٤.

٢- المصدر السابق، دعاء مكارم الأخلاق، ص١٠٤.

لك شخص ما أن لك مهلة قدرها ساعتين؛ لإنجاز العمل الكذائي، فإنك ستبذل كل طاقتك وجهدك في إنجاز العمل قبل أن تنقضي المهلة، وحياتنا كلها مهلة، مع الالتفات إلى أننا لا ندري متى تنقضي هذه المهلة.

وقد تكون هذه الأمور بديهية، ولكننا نحتاج أن نستحضرها في كل لحظة، وأن نبذل كل جهدنا؛ من أجل إنجاز أكبر قدر من القرب إلى الله وعمل الخير، وبعض الحالات لا تحتمل تأجيل الاختيار واتّخاذ القرار، فلو أنَّ الحر بن يزيد الرياحي أخَّر قراره التاريخي الذي جاء بعد التفكّر الإيجابي لما كان اسمه يرفرف في قلوب المؤمنين في كل عام مع باقي الأسماء التي نصرت الإمام الحسين عليه السلام.

وفي اختيار عمر بن سعد للرَّيِّ على نصرة الحسين درس آخر، فيما نقول؟!

مفهوم الرزق في دعاء أهل البيت عليهم السلام

هل مفهوم الرزق يقتصر على الأمور المادية، أم يشمل الأمور المعنوية؟

الجواب: نجده واضحًا في دعاء أهل البيت عليهم السلام، فكما أن الإنسان يسأل الله الرزق الماديّ من طعام وشراب وأموال، كذلك يطلب من الله الرزق المعنوي، ففي الدعاء الوارد عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «اللهم، ارزقنا توفيقَ الطاعةِ وبُعْدَ المَعصية».[1]

١- مفاتيح الجنان، دعاء الحجّة، ص١٦٣.

وفي دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله: «اللهمَّ، ارزقني فيهِ رحمةَ الأيتامِ، وإطعامَ الطعام، وإفشاءَ السلام، وصُحبةَ الكرام بطولك يا أمل المشتاقين».[١]

وفي الصلوات الشعبانية عن الإمام السجاد عليه السلام: «وارزقني مواساةَ مَنْ قتَّرتَ عليهِ مِن رزقِكَ بما وسَّعتَ عليَّ من فضلك».[٢]

وعن الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام: «اللهمَّ، ارزقني حجَّ بيتِكَ الحرام في عامي هذا وفي كلِّ عام».[٣]

وهناك الكثير من الشواهد التي لا يسع المجال لذكرها.

وهنا نلاحظ أن أدعيتهم تشير إلى الرزق المعنوي إلى جانب الرزق المادي، فالإنسان يطلب من الله أن يرزقه توفيق الطاعة وبُعد المعصية، وهما أمران مصيريان في مستقبل الإنسان الدنيويّ والأخرويّ، وكما أن المال يعتبر رزقًا كذلك رحمة الأيتام، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام وصحبة الكرام، ومواساة المحرومين والحج هي نوع آخر من الرزق الذي يحرم منه الكثير ممّن يتوفّرون على الرزق المادي.

وبكلمة أقول: لا ينبغي لأحدنا أن يكون في دعائه لله تعالى كالبهيمة المربوطة همّها علفها.

١- المصدر السابق، دعاء اليوم الثامن من شهر رمضان، ص٢٩٨.

٢- المصدر السابق، أعمال شهر شعبان، الصلوات الشعبانية، ص٢٠٨.

٣- المصدر السابق، أعمال شهر رمضان العامة، ص٢٢٧.

ومـن الأمور التي يعالجها الإمام السـجاد عليه السلام في موضـوع الرزق قضـية سـوء الظنّ حيث إنَّ الإنسان قد يعيش هذه الحالة المرضية مع أن من العباد مَن لا يصـلحه إلا الفقر حيث يقـول عليه السلام في دعائه إذا قتر عليه من أدعية الصـحيفة: «اللَّهمَّ، إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسـوءِ الظـن، وفي آجالِنا بطولِ الأمل، حتى التمسـنا أرزاقنـا من عند المرزوقين، وطمعنـا بآمالنا في أعمار المعمّرين، فصـل على محمد وآله، وهب لنا يقينًا صادقًا تكفينا بهِ من مؤونةِ الطلب، وألهمنا ثقةً خالصة تغنينا بها من شدَّةِ النَّصب».[١]

وهذه الثقة التي يتكلّم عنها الإمام تجعل الإنسـان في وضع نفسي مريح جدًّا حيث إنه يرضـى بما قسم الله له من الرزق، ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضـله، فكل إنسـان لـه رزق مكتوب، ويتابع الإمـام عليه السلام: «واجعل مـا صـرَّحتَ به مـن عِدَتك في وحيك، وأتبعتـهُ من قَسَـمِك في كتابك قاطعًا لاهتمامنا بالرزق الذي تكفّلت به، وحسـمًا للاشتغال بما ضمنت الكفاية له، فقلتَ وقولُك الحقُ الأصـدق، وأقسمتَ وقسـمُكَ الأبرُّ الأوفى: ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَـا تُوعَدُونَ﴾[٢] ثم قلتَ: ﴿فَوَرَبِّ السَّـمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٣]».[٤]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا قتر عليه الرزق، ص١٣٦.

٢- الذاريات: ٢٢.

٣- الذاريات: ٢٣.

٤- المصدر السابق، من دعائه إذا قتر عليه الرزق، ص١٣٦.

أما بالنسبة لموضوع المال - الرزق الماديّ -، فالمهم أن يكون مصدره حلالًا، وليس المهم أن يكون كثيرًا، يقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه في المعونة على قضاء الدَين: «وأجرِ من أسبابِ الحلال أرزاقي».[١]

ولا يكفي أن يكون المال حلالًا، بل لا بدّ من أن يكون بذله بالطريقة الصحيحة التي ترضي الله، فيقول عليه السلام في نفس الدعاء مواصلًا: «ووجِّه في أبوابِ الخير إنفاقي».

ثم يعلّمنا عليه السلام دروسًا في كيفية التعامل مع المال: «اللَّهمَّ، صلِّ على محمد وآله، واحجبني عن السرف والازدياد، وقوِّمني بالبذل والاقتصاد، وعلّمني حسن التقدير، واقبضني بلطفك عن التبذير».[٢] ونحن نرى في حياتنا العملية أن موظفًا راتبه ٢٠٠ دينار يعيش في راحة بسبب حسن تقديره وتدبيره، وموظفًا راتبه ١٠٠٠ دينار يعاني من القروض والتدهور المالي بسبب فقدانه للحكمة في التصرّف بالمال.

ثم يتعرّض عليه السلام إلى بعض الوجوه السلبية لمَن لا يحسن التصرّف بماله: «وازوِ عنّي من المال ما يحدث لي مخيلة، أو تأديًا إلى بغي، أو أتعقّب منه طغيانًا».[٣]

فلا بارك الله في مال يجعل صاحبه فرعونًا يبطش، ويظلم في الدنيا، ويكبّ على وجهه في النار في الآخرة.

١- المصدر السابق، من دعائه في المعونة على قضاء الدين، ص١٣٨.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في المعونة على قضاء الدين، ص١٣٧.

٣- المصدر السابق، ص١٣٨.

الاستغفار

استغفرْ وتبْ، لا تقنط ولا تيأس

الإنسان يشعر في بعض الأحيان بحالة من القنوط واليأس، وأن الله لن يغفر له ذنوبه لعظمها، وهذه الحالة خطيرة، وقد تجرّ الإنسان إلى ارتكاب المزيد من المعاصي والابتعاد عن الله أكثر فأكثر.

ومن هنا نجد أن أدعيتهم عليهم السلام تعطي الإنسان أملًا في الرجوع إلى ربّه؛ لكي لا يرتمي في أحضان الشيطان الذي يدعوه إلى اليأس والقنوط، ففي دعاء أمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي، أتراني ما أتيتُكَ إلَّا من حيث الآمال».[١] وقال عليه السلام في نفس الدعاء: «إلهي، قرعتُ باب رحمتك بيد رجائي».[٢]

وقال عليه السلام في نفس الدعاء: «إلهي، كيفَ تَطرِدُ مِسكينًا التجأ إليكَ من الذنوبِ هاربًا، أم كيفَ تخيِّبُ مُسترشدًا قصدَ إلى جَنابك ساعيًا، أم كيف تردُّ ظمآنًا ورد إلى حياضك شاربًا، كلا وحياضك مترعةٌ في ضنك المحول، وبابُك مفتوحٌ للطلب والوغول».[٣]

١- مفاتيح الجنان، دعاء الصباح، ص٩٤.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

فالإمـام عليه السلام في هذه الفقرة يقلبُ شـعور الإنسـان المذنب من حالة اليأس القنوط، وحالة اسـتبعاد الغفران الإلهي إلى حالة اسـتبعاد أن يأتي الإنسان إلى ربّـه مسـتغفرًا نادمًا، ويـردّه الله، ولا يغفر لـه، وورد في الدعاء: «يا من سبقت رحمتُه غضبَه».[١]

القياس بالسحرة نموذجًا

ويقول الإمام السـجّاد عليه السلام: «مَا أَنَا بِأَعْصَـى مَنْ عَصَـاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ، وَمَا أَنَـا بِأَلْوَمِ مَـنِ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَ مِنْـهُ، وَمَا أَنَا بِأَظْلَمِ مَنْ تَـابَ إِلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِ».[٢]

إذًا، مـا دام الله قـد غفر لمن هو أكثر منا ذنبًا وأعظم جرمًا، فلماذا لا يغفر لنا؟

وهـذا ما يتحـدّث عنه الإمـام زين العابديـن عليه السلام: «مولاي يا مـولاي، إن كنـتَ رحمتَ مثلي فارحمني، وإن كنتَ قبلتَ مثلي فاقبلني، يا قابل السـحرةِ اقبلني».[٣]

ومـن دعاء الإمام الحسـين عليه السلام: «يا مَن اسـتنقذَ السـحرةَ مـن بعدِ طولِ الجحودِ، وقد غدوا في نعمتهِ يأكلونَ رزقهُ ويعبدون غيره، وقد حادُّوهُ، ونادُّوه،

١- المصدر السابق، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٢٠، ص١٣٤.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتراف وطلب التوبة، ص٧١.

٣- مفاتيح الجنان، كتاب الباقيات الصالحات، دعاء الحزين، ص٨١٤.

وكذّبوا رسلَه».[١]

فالسحرة وقفوا إلى جانب فرعون ضد موسى، ودخلوا في حرب علنية ضد الله، ولكنهم عندما تابوا قبلهم الله، فهل سيطردنا الله من رحمته إذا تبنا، واستغفرنا، وهو من قَبلَ السحرة؟

ومن الفقرات التي تبعث على الأمل ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ، إنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابِكَ، وَبَشَّرْتَ بِهِ عِبَادِكَ، أَنْ قُلْتَ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ...﴾[٢]».[٣]

الغفران تفضّل إلهي

الإنسان قد يستغفر ويغفر الله له، وهذا الغفران تفضّل إلهي، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «لا يَجبُ لأَحَد أَنْ تَغْفِرَ لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ، وَلا أَنْ تَرْضَى عَنْهُ بِاسْتِيجَابِهِ، فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبِطَولِكَ، وَمَنْ رَضِيْتَ عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ».[٤]

وقال عليه السلام: «وَإِنْ كُنْتَ تَغْفِرُ لِي حِيْنَ أَسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ أَسْتَحِقُّ عَفْوَكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِب لِيْ بِاسْتِحْقَاق، وَلا أَنَا أَهْلٌ لَهُ بِاسْتِيجَاب

١- المصدر السابق، دعاء عرفة، ص٣٣٣.

٢- الزمر: ٥٣.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه في الرهبة، ص٢٤٢.

٤- المصدر السابق، من دعائه في الاعتراف بالتقصير عن تأدية الشكر، ص١٦٢.

إِذْ كَانَ جَزَائِي مِنْكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّارَ فَإِنْ تُعَذِّبْنِي، فَأَنْتَ غَيْرُ ظالمٍ لي».[١]

وفي موضع آخر يقول: «وَإِنِّي بِمَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ أَوْثَقُ مِنِّيَ بِعَمَلِي، وَلَمَغْفِرَتُكَ وَرَحْمَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي».[٢]

ويقول أيضًا: «اللَّهمَّ، إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ فَضْلُكَ».[٣]

الاستغفار للآخرين

الإنسان المؤمن يفكّر في غيره من الناس كما يفكّر في نفسه، بناءً على القاعدة الفاطمية عليها السلام: «يا بني، الجار ثم الدار»[٤]؛ ولذلك فإننا نرى أن كثيرًا من نصوص الأدعية المتعلّقة بالاستغفار تدعو للآخرين بالمغفرة، فقد ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام: «اللهمَّ، اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وتابع بيننا وبينهم بالخيرات.

اللَّهمَّ، اغفر لحيّنا وميّتِنا، وشاهدِنا وغائبِنا، ذكرنا وأنثانا، صغيرنا وكبيرنا،

١- الصحيفة السجادية، من دعائه، ص٨٦.

٢- المصدر السابق، من دعائه في يوم الأضحى والجمعة، ص٢٣٠.

٣- المصدر السابق، دعاء مكارم الأخلاق، ص١٠١.

٤- دلائل الإمامة، ص ١٥٢.

حرّنا ومملوكنا».[١]

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَأَنْ تُشْرِكَنَا فِي صَالِحِ مَنْ دَعَاكَ فِي هَذَا اليَوْمِ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلَهُمْ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».[٢]

بل نجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يعلّمنا كيف ندعو بالمغفرة لمن ظلمنا، ويعلّمنا كيف تكون روحنا كبيرة، فلا تحمل الضغائن والأحقاد، بل تطلب المغفرة للآخرين، وتتجاوز عن ظلمهم حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في طلب العفو والرحمة: «اللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا عَبْد نالَ مِنِّي مَا حَظَرْتَ عَلَيْهِ، وَانْتَهَكَ مِنِّي مَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ، فَمَضَى بِظُلاَمَتِي مَيِّتًا، أَوْ حَصَلْتَ لِيْ قِبَلَهُ حَيًّا، فَاغْفِرْ لَهُ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنِّي، وَاعْفُ لَهُ عَمَّا أَدْبَرَ بِهِ عَنِّي، وَلاَ تَقِفْهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ فِيَّ، وَلاَ تَكْشِفْهُ عَمَّا اكْتَسَبَ بِي».[٣]

اقتران الغفران ببرّ الوالدين

وإذا كان هناك من النصوص ما نقرأ فيه الاستغفار للآخرين بصورة عامة، فإن هناك نصوصًا أخرى نلاحظ فيها أن لفظ الغفران كثيرًا ما يقترن الاستغفار بذكر الوالدين، ففي الدعاء القرآني على لسان النبيّ نوح عليه السلام:

١- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٣.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في يوم الأضحى والجمعة، ص٢٣٠.

٣- المصدر السابق، من دعائه في طلب العفو والرحمة، ص١٦٨.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ...﴾.[١]

وفي سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾. [٢]

وفي دعاء زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاغْفِرْ لِي بِدُعَائِي لَهُمَا، وَاغْفِرْ لَهُمَا بِبِرِّهِمَا بِي مَغْفِرَةً حَتْمًا، وَارْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لَهُمَا رِضًى عَزْمًا، وَبَلِّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلاَمَةِ.

اللَّهُمَّ، وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُمَا فَشَفِّعْهُمَا فِيَّ، وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي فَشَفِّعْنِي فِيْهِمَا، حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ وَمَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ». [٣]

وفي دعاء الإمام السجّاد عليه السلام: «اللهمَّ، اغفر لي ولوالديَّ، وارحمهما كما ربّياني صغيرًا، واجزهما بالإحسان إحسانًا وبالسيّئات غفرانًا». [٤]

نستنتج من النصوص السابقة أهمية ذِكر الوالدين والاستغفار لهما حينما يستغفر الإنسان لنفسه عرفانًا لجميلهما على الإنسان، وأن الدعاء لهما من الأمور التي ترتبط بغفران ذنب الداعي لهما؛ لأن برّهما من أهم طاعات الله تعالى.

١- سورة نوح: ٢٨.

٢- سورة إبراهيم: ٤١.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه لأبويه، ص١٢٠.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٣.

اقتران الاستغفار بالإقرار

وفي كثير من نصوص الأدعية يقترن الاستغفار بالإقرار بالذنب، وضعف الإنسان، وطلب العون من الربّ الرحيم، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «أَسْأَلُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَنِّي، وَتَغْفِرَ لي فَلَسْتُ بَرِيئًا فَأَعْتَذِرَ، وَلَا بِذِي قُوَّة فَأَنْتَصِرَ، وَلاَ مَفَرَّ لِي فَأَفِرَّ».[١]

البريء ينفي التهمة عن نفسه، والقويُّ يواجه، ومن يستطيع الفرار يفرّ من العقوبة ولكن أمام الله تكون كل هذه الأبواب مغلقة، فالإنسان مذنب وليس بريئًا، وضعيف وليس قويًّا، ولا يمكن الفرار من حكومة الله كما في دعاء كميل: «ولا يمكنُ الفرارُ من حكومتِك».[٢]

وعندما تغلق كل هذه الأبواب يبقى باب الاستغفار هو المفتوح، والسعيد من يدخل فيه قبل فوات الأوان. ويقول الإمام السجاد عليه السلام في دعائه في التوبة: «اللَّهُمَّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي».[٣]

وفي دعاء كميل: «وقد أتيتك يا إلهي، بعد تقصيري وإسرافي على نفسي معتذرًا نادمًا، منكسرًا مستقيلًا، مستغفرًا منيبًا، مقرًّا مذعنًا معترفًا».[٤]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في التضرّع والاستكانة، ص٢٤٦.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٦.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه في ذكر التوبة وطلبها، ص١٤١.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام، ص٩٧.

وهـذا الإقرار يقترن عند المؤمنين بالبكاء الذي هو من الأمور التي يرجو بها الإنسـان غفران ربّه، يقول الإمام السـجاد عليه السلام: «أَمْ أَنْـتَ غَافِرٌ لِمَنْ بَكَاكَ فَأُسْرِع فِي الْبُكَاءِ».[١]

اقتران الاستغفار بالثناء على الله

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَإِنْ تَغْفِرْ، فَأَنْت أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».[٢]

وقال عليه السلام في دعائه في الصباح والمساء: «إِنَّكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ بِالْجَسِيمِ الْغَافِرِ لِلْعَظِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيم، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الأَخْيَارِ الأَنْجَبِينَ».[٣]

وقـال عليه السلام: «فَهَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ، وَمَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ، فَلاَ يَضِـيقَنَّ عَنِّي فَضْلُكَ، وَلا يَقْصُـرَنَّ دونِي عَفْوُكَ، وَلا أَكُنْ أَخْيَبَ عِبَادِكَ التَّائِبِينَ، وَلاَ أَقْنَطَ وفُودِكَ الآمِلِينَ، وَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ».[٤]

وقال عليه السلام في موضـع آخـر: «يَدْعُوكَ بِيَـا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَـا أَرْحَمَ مَنِ انْتَابَهُ الْمُسْـتَرْحِمُونَ، وَيَـا أَعْطَفَ مَـنْ أَطَـافَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، وَيَا مَـنْ عَفْوُهُ أَكْـثَرُ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَيَا مَنْ رِضَـاهُ أَوْفَـرُ مِنْ سَـخَطِهِ، وَيَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى

١- الصحيفة السجادية، من دعائه، ص٨٣.
٢- المصدر السابق، من دعائه في التضرّع والاستكانة، ص٢٤٨.
٣- المصدر السابق، من دعائه في الصباح والمساء، ص٥٨.
٤- المصدر السابق، من دعائه بعد الفراغ من صلاة الليل، ص١٤٨.

خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجاوُزِ ...».[١]

ونلاحظ اقتران صفتي العفو والغفران في العديد من النصوص المباركة.

اقتران الاستغفار بالآثار السلبية للذنوب

في بدايات دعاء كميل نلاحظ أن الإمام عليًّا عليه السلام: «اللهمَّ، اغفر لي الذنوبَ التي تهتكُ العصم.

اللهمَّ، اغفر لي الذنوبَ التي تنزل النقم.

اللهمَّ، اغفر لي الذنوبَ التي تغيّر النِّعم.

اللهمَّ، اغفر لي الذنوبَ التي تحبسُ الدعاء.

اللهمَّ، اغفر لي الذنوبَ التي تنزل البلاء.

اللهمَّ، اغفر لي كلَّ ذنبٍ أذنبتهُ، وكل خطيئةٍ أخطأتها».[٢]

وكان يمكن للعبارة الأخيرة التي يقول فيها: «اللَّهمَّ، اغفر لي كلَّ ذنبٍ أذنبتهُ» أن تكفي عن التفصيل السابق، ولكن الإمام عليه السلام من خلال هذه الفقرات التي قسَّم فيها الذنوب إلى خمسة أقسام يبيّن فيها الآثار السلبية لهذه الذنوب، وهذا التفصيل له أثر في ترك الذنب أكثر وقعًا من الإجمال والاختصار. ولا بأس بمراجعة شرح دعاء كميل؛ للتعرّف على تفاصيل آثار هذه الذنوب.

١- المصدر السابق، من دعائه في الاعتراف وطلب التوبة، ص٧٠.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٦.

اقتران الاستغفار بحبّ الله

ليس ذلك فحسب، بل إن المستغفرين هم أحبّ العباد إلى الله تعالى، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الاعتراف، وطلب التوبة: «وَأَنَّ أَحَبَّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ مَنْ تَرَكَ الاسْتِكْبَارَ عَلَيْكَ، وَجَانَبَ الإِصْرَارَ، وَلَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَسْتَكْبِرَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَصِرَّ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَّرْتُ فِيهِ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى مَا عَجَزْتُ عَنْهُ».[١]

والملاحظ هنا أن الدعاء يدعو الإنسان أن يتّهم نفسه بالتقصير، وهذا له دور كبير في تطوير شخصية الإنسان الروحية والاجتماعية بل بصورة عامة؛ لأن الإنسان إذا شعر أنه مقصّر يحاول أن يصل إلى درجة أكبر، أما إذا اعتقد أنه كامل وليس عنده أيّ تقصير، فسيجمد على درجته، بل ربّما يتراجع عنها.

تقسيم الذنوب

من خلال أدعيتهم عليهم السلام يتّضح لنا أن هناك العديد من التقسيمات، فبعض النصوص تقسّم الذنوب إلى ذنوب علنية، وذنوب خفيّة، ففي دعاء زين العابدين عليه السلام: «وَاغْفِرْ لَنا ما خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا عَلَنَ».[٢]

وهناك نص آخر يؤكّد علم الله تعالى لكل ذنوب الإنسان حيث يقول الإمام

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتراف وطلب التوبة، ص٧٢.

٢- المصدر السابق، من دعائه في وداع شهر رمضان، ص١٩٩.

زين العابدين عليه السلام في دعائه في التضرّع والاستكانة: «وَاغْفِرْ لِي مَا تَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِي».[١]

وبما أن الله يعلم كل ذنوب الإنسان، فالدعاء هنا يطلب غفران كل الذنوب، وهناك تقسيم آخر وهو تقسيم زمني يقول الإمام عليه السلام: «وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِي فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاغْفِرْ لِيْ، وَأَسْتَعْصِمُكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاعْصِمْنِي».[٢]

وهنا نلتقي بمفهوم الاستغفار، ومفهوم الاستعصام، فالاستغفار لما سلف من الذنوب، أما الاستعصام فهو طلب المعونة في عدم الوقوع في الذنب، والحفظ منه فيما سيأتي من الزمان.

ومفهوم الاستغفار، والاستعصام نلتقي معه في دعائه في التوبة: «اللَّهُمَّ، وَعَلَيَّ تَبِعَاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسِيتُهُنَّ، وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَعِلْمِكَ الَّذِي لا يَنْسَى، فَعَوِّضْ مِنْهَا أَهْلَهَا، وَاحْطُطْ عَنّي وِزْرَهَا، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقْلَهَا، وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أُقَارِفَ مِثْلَهَا».[٣]

وفي دعاء الجوشن الكبير: «يا عَاصِمَ مَن استعصَمَه ...، يا غافرَ مَن استغفره».[٤]

١- المصدر السابق، من دعائه في التضرّع والاستكانة، ص٢٤٨.

٢- المصد رالسابق، من دعائه في يوم الأضحى والجمعة، ص٢٣٥.

٣- المصدر السابق، من دعائه في ذكر التوبة وطلبها، ص١٤٢.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٣٠، ص١٣٥.

ويمكننا القول: إن الاستعصام هو ثمرة الاستغفار؛ أي أن الاستغفار الحقيقي يحثّ الإنسان على الاستعصام، وعدم الوقوع في الذنب مرة أخرى.

وهذا النص - أيضًا - يقسِّم الذنوب إلى ذنوب يتذكّرها الإنسان، وذنوب نسيها، وكل هذه الذنوب هي بعين الله، فالإنسان يطلب من ربّه أن يغفر له الذنوب التي حفظها والذنوب التي نسيها.

العودة إلى الذنب بعد الاستغفار

وهذه مشكلة يواجهها الإنسان كثيرًا، وتكثر في الذنوب الشائعة كالغِيبة، والنظر المحرّم، ويصوّر لنا الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِلهِي هَدَيْتَنِي فَلَهَوْتُ، وَوَعَظْتَ فَقَسَوْتُ، وَأَبْلَيْتَ الْجَمِيلَ فَعَصَيْتُ، ثُمَّ عَرَفْتُ مَا أَصْدَرْتَ إِذْ عَرَّفْتَنِيهِ فَاسْتَغْفَرْتُ، فَأَقَلْتَ فَعُدتُ، فَسَتَرْتَ، فَلَكَ إِلهِي الْحَمْدُ».[1]

الإنسان ينبغي عليه أن لا يعود للذنب بعد الاستغفار، ولكنه قد يضعف أمام الشهوة والإغراء والإغواء، وفي هذه الحالة ينبغي عليه العودة بسرعة إلى الله قبل أن تتمكّن منه المعصية، وتنخر فيه، وتقضي على ما تبقى من الإيمان في قلبه.

الاستغفار حطّةٌ للذنوب

الاستغفار حطّة للذنوب، ففي مناجاة التائبين عن زين العابدين عليه السلام: «وَإِنْ

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في دفع كيد الأعداء، ص٢٣٧.

كَانَ الاسْتِغْفارُ مِنَ الْخَطيئَةِ حِطَّةً، فَإني لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ»[١]، ووردت هذه العبارة بنصّها في دعائه عليه السلام في ذِكر التوبة، وطلبها.

وحطّة للذنوب، أيّ: موجب لحطّ الذنوب عن عاتق الإنسان.

الغفران في دعاء الجوشن الكبير

في دعاء الجوشن الكبير نقرأ العديد من العبارات المتعلّقة بالغفران: «يا غافر الخطيئات»، «يا خير الغافرين»، «يا غفران»، «يا غافر الخطايا»، «يا غفار الذنوب»، «يا غافر المذنبين»، «يا ذا العفو والغفران»، «يا غافر الذنب»، «يا واسع المغفرة»، «يا غافر من استغفره»، «اللهمَّ، إني أسئلك باسمك يا غافر»، «اللهمَّ، إني أسئلك باسمك يا عفوّ يا غفور»، «يا غافر الخطاء»، «يا غفّار»، «يا من يغفر لمن يشاء»، «يا من عُصيَ فغفر»، «يا من لا يغفر الذنب إلا هو».[٢]

وأترك التأمّل في هذه العبارات المباركة للقارئ الكريم.

وأسأل الله أن يغفر ذنبي وذنبه، وأن لا ينساني من الدعاء.

١- المصدر السابق، مناجاة التائبين، ص٢٩٤.

٢- تراجع هذه الفقرات في دعاء الجوشن الكبير، مفاتيح الجنان، ص١٣١.

الاعتذار
أنواعه ونتائجه

يأتي الاعتذار في دعاء أهل البيت عليهم السلام في سياق العلاقة بين الله والإنسان، كما ورد في دعاء كميل: «اللهمَّ، فاقبلْ عذري، وارحم شدةَ ضري».[١]

ويأتي - أيضًا - في سياق علاقة الإنسان بالمجتمع وبنفسه، وهذا ما يتّضح جليًّا في دعاء زين العابدين عليه السلام في الاعتذار من تبعات العباد، والتقصير في حقوقهم، وفكّ رقبته من النَّار حيث يقول عليه السلام: «اللَّهُمَّ، إنِّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ مِنْ مَظْلُوم ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوف أُسْدِيَ إلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيئ اعْتَذَرَ إلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْهُ، وَمِنْ ذِيْ فَاقَة سَأَلَنِي فَلَمْ أُوثِرْهُ، وَمِنْ حَقِّ ذي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِن فَلَمْ أوَقِّرْهُ، وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِن ظَهَر لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إثْم عَرَضَ لِيْ فَلَمْ أَهْجُرْهُ.

أَعْتَذِرُ إلَيْكَ يَا إلهِي، مِنْهُنَّ وَمِنْ نَظَائِرِهِنَّ اعْتِذَارَ نَدَامَة يَكُونُ وَاعِظًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِنَّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه، وَاجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَى مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلّاتِ، وَعَزْمِي عَلَى تَرْكِ مَا يَعْرِضُ لِيْ مِنَ السَّيِّئَاتِ تَوبَةً تُوجِبُ لِيْ

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

مَحَبَّتَكَ يا مُحِبَّ التَّوَّابِيْنَ».[١]

ويمكن تقسيم هذه الفقرة إلى سبعة اعتذارات:

١- الاعتذار من السلبية

«اللَّهُمَّ، إنِّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ مِنْ مَظْلُوم ظُلِمَ بِحَضْرَتِي، فَلَمْ أَنْصُرْهُ».

كثيرون هم أولئك السلبيّون في المجتمع الذين لا يعنيهم ما يجري حولهم لا من قريب ولا من بعيد.

والإمام يحّذرنا من هذه السلبية القاتلة، فلا بدّ من نصرة المظلوم.

والاعتذار هنا يوحي بأن الساكت عن نصرة المظلوم الذي ظلم بحضرته مشارك للظالم في ظلمه، ولذلك يعتذر الإمام في دعائه من هذا السلوك الذي إذا اتَّسم به مجتمع من المجتمعات ازداد الظلم والقهر والاضطهاد فيه.

أمَّا إذا نُصر المظلوم ولو بكلمة من هذا وبجهد من ذاك ارتفع الظلم عنه وشعر أنه ليس وحيدًا، وكأن الإمام يوجّه خطابًا لأولئك الذين ظلموا أباه في كربلاء حيث ظُلِمَ بحضرتهم فلم ينصروه، ويحذّر من تكرار تلك الظاهرة السلبية في المجتمع.

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتذار من تبعات العباد، ص١٦٦.

٢- الاعتذار عن عدم الشكر

«وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسْدِيَ إِلَيَّ، فَلَمْ أَشْكُرْهُ».

والملاحظ أن الإمام عليه السلام لم يعتذر في دعائه عن حالة الردّ على الإحسان بالإساءة، وإنما اعتذر عن عدم الشكر فضلاً عن الردّ بالإساءة على الإحسان.

وعدم الشكر حالة تستدعي الاعتذار؛ لأنه يشير إلى وجود خلل في الشخص الذي أسدي إليه المعروف، وهذا الخلل يحتاج إلى إصلاح، ومن هنا جاء الاعتذار.

الشكر تارة يكون لفظيًّا، وتارة يكون عمليًّا.

ومن الشُّكر العملي قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.[1]

فقال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، أي أن الشكر المذكور شكر عمليّ.

ولم يحدّد الإمام نوعية الشكر الوارد في هذه الفقرة حيث إنَّ الفعل (أُسدي) مبنيّ للمجهول، فيتّضح أنه يشمل شكر الخالق، وشكر المخلوق، ومَن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

فمن الضروري الاحتفاظ بخاصية الشكر عند الإنسان، والاستفادة من مردودات الشكر الإيجابية على نفس الشاكر والمشكور، وذلك لما يحقّقه هذا

١- سورة سبأ: ١٣.

الشـكر - سـواء كان لفظيًّا، أم عمليًّا - من تشـجيع علـى الخير، واعتراف بالجميل، وتقوية للعلاقات، وتنمية للخير.

٣- رفض الاعتذار فتح لباب السوء

«وَمِنْ مُسِيئ اعْتَذَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ أَعْذِرْهُ».

رفض الاعتذار يمثّل فتحًا لباب السـوء، وقبول الاعتذار يفتح باب التسـامح والمحبّة، ويمهّد لنسـيان الصـفحات السـوداء، ويقضـي على الضـغائن في القلـوب، فمن يقبـل الاعتذار من المعتذر الذي أقرّ بمـا فعل من أخطاء يغلق باب السوء ويفتح بابًا للخير، لا سيما إذا وضعنا في الاعتبار أن هذا السوء قد يتطوّر وينتقل إلى أطراف أخرى، كما إذا كانت المشكلة بين شخصين وتتطوّر فتصير بين عائلتين أو قبيلتين، فيكون قبول الاعتذار بمثابة نزع فتيل الفتنة.

أمـا رفضـ الاعتذار، فيحتـاج إلى اعتذار مـن الله كما يقـول عليه السلام: «وَمِنْ مُسِيئ اعْتَذَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ أَعْذِرْهُ».

٤- الاعتذار من عدم الإيثار

«وَمِنْ ذِيْ فَاقَة سَأَلَنِي، فَلَمْ أُوثِرْهُ».

ومن المعروف أن الإيثار يعني أن أحرم نفسي وأقدّم ذا الفاقة عليها.

إذًا، الإمام يعتذر عن عدم الإيثار، أي: منع المسـاعدة في حالة الحاجة إليها من قبل المعطي، فضـلًا عن منع الحاجة، مع عـدم الحاجة إليها كما لو كان

الرجل غنيًّا وفي خير كثير وجاءه فقير فمنعه عن العطاء.

إذًا، الإمام يشدّد على إغاثة ذوي الفاقة حتى في حالة الشدّة.

٥- الاعتذار من التقصير في أداء الحقوق

«وَمِنْ حَقِّ ذي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِن، فَلَمْ أَوَفِّرْهُ».

وهذا الشعور بالتقصير في أداء حقوق الآخرين يدفع الإنسان لأداء حقّ الآخرين بقدر ما يستطيع، وكذلك يجعل الإنسان يفكّر في حقوق الآخرين، ويخرج عن دائرة الأنانية، ولا يكون كأولئك الذين لا يفكّرون إلا في حقوقهم، فمن صفات المؤمن أنه يعتذر لغيره من الناس لتقصيره في أداء حقوقهم.

٦- الاعتذار من كشف العيوب

«وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِن ظَهَر لِي، فَلَمْ أَسْتُرْه».

وقد يكون هذا الكشف لهذا العيب سببًا من أسباب انهيار شخصية هذا المؤمن في المجتمع، بالإضافة إلى أنه إذا كشف عيبه قد يشعر باليأس، فيتمادى في عيوبه ومعاصيه.

وينقل الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (في ظلال الصحيفة السَّجاديَّة) حديثًا عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة يقول فيه: «لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعلّه مغفور له».[1]

١- نهج البلاغة ص١٩٧.

٧- الاعتذار من مصاحبة الإثم

«وَمِنْ كُلِّ إِثْم عَرَضَ لِيْ، فَلَمْ أَهْجُرْهُ».

قد يمرّ الإثم على الإنسان مرورًا، وينبغي عليه بعد هذا المرور أن يهجره إلى غير رجعة، أما إذا لم يهجره بل صاحبه على الدوام، فإن هذا الصاحب اللئيم (الإثم) سيمسك يده ويمشي به في خطوات العمر إلى جهنم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.[١]

دقّة الإمام في اختيار الكلمات

مما سبق نلاحظ دقّة الإمام في اختيار الكلمات، ففي الفقرة الأولى اختار الإمام: «فَلَمْ أَنْصُرْهُ»، فرفض عدم نصرة المظلوم فضلًا عن المشاركة المباشرة في الظلم.

وفي الفقرة الثانية قال عليه السلام: «فَلَمْ أَشْكُرْهُ» فضلًا عن الردّ على الإحسان بالإساءة.

وفي الفقرة الثالثة، قال: «وَمِنْ مُسِيئ»، ولم يقل: (ومن معتذر اعتذر إليَّ، فلم أعذره)؛ لأن لفظة مسيئ تدلّ على تحقّق الإساءة من قبل المعتذر، فقد يعتذر أحدهم وهو ما أساء في تصرّفاته، فالإمام يرفض عدم قبول الاعتذار من المسيئ فضلًا عمَّن لم تثبت إساءته.

١- سورة الزخرف: ٣٦.

وفي الفقرة الرابعة، قال عليه السلام: «فَلَمْ أُوثِرْهُ»، ولم يقل: (فلم أعطه)؛ لأن العطاء قد يكون في الشدّة أو الرخاء، أما الإيثار فلا يكون إلّا في وقت الحاجة إلى ما ينفقه الإنسان على ذي الفاقة، وبذلك يكون قوله: «فَلَمْ أُوثِرْهُ» أبلغ.

وفي الفقرة السادسة، قال عليه السلام: «ظَهَر لِي».

إذًا، فهذا العيب قد ظهر لي بدون أن أبحث عنه، وبدون أن تتبّعي لعثرات هذا المؤمن، وبدون تجسّسي عليه.

فالنتيجة هي رفض كشف العيوب التي ظهرت فضلًا عن العيوب التي نبحث عنها، ونتتبّعها، ونتجسّس عليها.

وفي الفقرة السابعة لفظ: «عَرَضَ لِيْ فَلَمْ أَهْجُرْهُ»، أي: أعتذر عن الذنوب التي عرضت لي فضلًا عن الذنوب التي سعيت إليها، وطلبتها بجهدي، وكذلك قوله: «فَلَمْ أَهْجُرْهُ» أبلغ من (فلم أتركه).

فائدة الاعتذار

«أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا إِلهِي مِنْهُنَّ وَمِنْ نَظَائِرِهِنَّ اعْتِذَارَ نَدَامَة يَكُونُ وَاعِظًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِنَّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَى مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلاتِ، وَعَزْمِي عَلَى تَرْكِ مَا يَعرِضُ لِيْ مِنَ السَّيِّئَاتِ تَوبَةً تُوجِبُ لِيْ مَحَبَّتَكَ يا مُحِبَّ التَّوَّابِيْنَ».[١]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتذار من تبعات العباد، ص١٦٦.

ومن هنا تتّضح لنا أهمية الاعتذار الذي يستبطن الندامة التي تعظ الإنسان، وتمنعه من أن يقارف المعاصي والزلّات، وتدفعه للتوبة من الخطيئات.

وبهذا يصبح الإنسان أقوى كلَّما تخلّص من نقطة من نقاط ضعفه بالاعتذار، والتوبة، والاستغفار، ومحاسبة النفس.

أمـا الذي يصـرّ، ولا يعتذر، ولا يتوب، ولا يتراجع، فتتراكم عليه السـيّئة تلو السيّئة إلى أن تجثم على صدره وتهوي به في نار جهنم وبئس القرار.

وفي هـذه الأجواء نقـرأ فقرة من دعاء زيـن العابديـن عليه السلام: «اللَّهُمَّ، فَلَكَ الْحمدُ إِقْرَارًا بِالإِسَـاءَةِ، وَاعْتِرَافًا بِالإِضَـاعَةِ، وَلَك مِـنْ قُلُوبِنَا عَقْدُ النَّدَمِ، وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا صِدْقُ الاعْتِذَار».[١]

ومـن فوائـد الاعتذار إلى الله أن قبـول العذر يفتح للإنسـان أبواب الرحمة الواسـعة، وهذا ما نقرأه في دعاء كميل: «وقد أتيتك يا إلهي، بعد تقصـيري وإسـرافي على نفسي معتذرًا نادمًا، منكسرًا مستقيلًا، مستغفرًا منيبًا، مقرًّا مذعنًـا معترفًا، لا أجد مفـرًّا ممَّا كان منّي، ولا مفزعًا أتوجّه إليه في أمري، غير قبولك عذري، وإدخالك إيّاي في سعة من رحمتك.

اللهم، فاقبل عذري ...».[٢]

١- المصدر السابق، من دعائه في وداع شهر رمضان، ص١٩٨.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

لا بدّ من الاعتذار

ولا بـدّ من الإلحاح على الله في قبول العذر، وذلك لقول علي عليه السلام: «لا أجد مفرًّا ممَّا كان مني ... غير قبولك عذري».[١]

وكذلك قوله عليه السلام في المناجاة الشـعبانية: «إلهي، اعتذاري إليك اعتذار من لم يستغنِ عن قبول عذرة، فاقبل عذري يا أكرم مَن اعتذر إليه المسيئون».[٢]

لا يستطيع المجرم أن يدّعي البراءة أمام الله

وفي يوم القيامة حيث لا يستطيع الإنسان أن يعتذر بأنه بريئ لم يرتكب جرمًا وهو قد ارتكب الجرم في الدنيا، فهذا الاعتذار الذي يسـاوي نكران الجريمة لا فائدة منه؛ لأن الله مطّلع على سـرائر العباد، ولا مجال للفرار من حكومة الله: «ولا يمكـن الفرار من حكومتك»[٣]، ولا يمكن للإنسـان أن يواجه قدرة الله اللامتناهيـة، وبعد أن تغلـق هذه الأبواب الثلاثة، وهـي: نكران الذنب، الفـرار، ومواجهة قدرة الله بقدرتـه، يبقى بابًا واحدًا يفتـح وهو باب العفو الإلهـي، وفي هذه النقطة نقرأ قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «أَسْـأَلُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَنِّي، وَتَغْفِرَ لي فَلَسْـتُ بَرِيئًا فَأَعْتَذِرَ، وَلاَ بِذِي قُوَّة فَأَنْتَصِرَ، وَلاَ مَفَرَّ لِي فَأَفِرَّ».[٤]

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٧.

٢- المصدر السابق، المناجاة الشعبانية، ص٢٠٩.

٣- المصدر السابق، دعاء كميل، ص٩٦.

٤- الصحيفة السجادية، من دعائه في التضرّع والاستكانة، ص٢٤٦.

الاعتذار إلى الله والرجاء

من الضـروري أن يعيش المعتذر إلى الله حالة الرجاء بقبول عذره، خصوصًا وأنَّ الله قـد قبـل الاعتـذار من بعض الذين قـد ارتكبوا من المعاصـي ما لم يرتكـب، فـلا داعي لليأس من رحمـة الله، وهذا ما نقـرأه في الفقرة التالية مـن دعاء الإمام السـجّاد عليه السلام: «مَا أَنَا بِأَعْصَـى مَنْ عَصَـاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ، وَمَا أَنَا بِأَلْوَمِ مَنِ اعتذر إلَيْكَ فَقَبِلْتَ مِنْهُ، وَمَا أَنَا بِأَظْلَمِ مَنْ تَابَ إلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِ».[١]

حينما لا نمتلك العذر

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «إلهِي، أَنْتَ الَّذي فَتَحْتَ لِعِبادِكَ بَابًا إلى عَفْوِكَ سَـمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتَ: ﴿... تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ...﴾[٢]، فَما عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبابِ بَعْدَ فَتْحِهِ».[٣]

بماذا نعتذر إلى الله تعالى وهو الذي منَّ علينا بالتوبة فأعرضنا عنها ولزمنا ذنوبنا؟

فما أسوء حالنا ونحن نقف أمام ربّنا بلا عذر.

وفي دعاء الإمام السـجّاد عليه السلام فقرة شـبيهة بالفقرة المذكـورة يقول فيها:

١- المصدر السابق، من دعائه في الاعتراف وطلب التوبة، ص٧١.

٢- التحريم: ٨.

٣- الصحيفة السجادية، مناجاة التائبين، ص٢٩٥.

«أَنْتَ الَّذِيْ فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَابًا إِلَى عَفْوِكَ وَسَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، وَجَعَلْتَ عَلَى ذلِكَ البَابِ دَلِيلًا مِنْ وَحْيِكَ لِئَلَّا يَضِلُّوا عَنْهُ، فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُك: ﴿تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللّٰهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ ذلِكَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ وَإِقَامَةِ الدَّلِيْلِ»؟[٢]

والدين دين يسر والأوامر الإلهية يستطيع الإنسان أن يطبّقها، وليس فيها ما هو خارج قدرة الإنسان، ولكن الإنسان يضعف أمام المعاصي، وفي مقابل هذا الضعف زوّده الله بالإرادة التي يستطيع من خلالها - بالإضافة إلى الاستعانة بالعقل - أن يواجه إغواء الشيطان، وإغراء الأهواء.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه: «وَالْحَمْدُ للّٰهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إِلّا مِنْ فَضْلِهِ، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِهِ إِلّا بِهَا لَقَدْ حَسُنَ بَلاؤُهُ عِنْدَنَا، وجَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا وجَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا، فَمَا هكذا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَمْ يُكَلِّفْنَا إِلّا وُسْعًا، ولَمْ يُجَشِّمْنَا إِلّا يُسْرًا وَلَمْ يَدَعْ لأَحَد مِنَّا حُجَّةً وَلاَ عُذْرًا، فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ

١- التحريم: ٨.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في وداع شهر رمضان، ص١٩٢.

عَلَيْهِ، والسَّعِيدُ مِنَّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ».[١]

يقـول الشـيخ علي محمد علي دخيـل: «الهالك منَّا من هلـك عليه»، أي: مع هذا العطاء الجزيل من المنعم الذي جعل الحسنة بعشر إلى سبعمائة وأكثر، فالذي يخسر الجنّة ونعيمها لا يلومن إلا نفسه.[٢]

ويقـول الإمام زين العابديـن عليه السلام في دعائه في يوم الفطـر: «فَقَدْ ظَاهَرْتَ الْحُجَجَ، وَأَبْلَيْتَ الأَعْذَارَ».[٣]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه بالتحميد لله عزّ وجلّ، ص٣٦.

٢- الصحيفة السجادية شرح كلمات ودروس، علي محمد علي دخيل، في ذيل الفقرة المذكورة، ص٥٠.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه في يوم الفطر، ص٢٠٤.

البكاء

مبرّرات البكاء في دعاء أبي حمزة

هل البكاء حالة طبيعية، أم أنه حالة شاذّة؟

وبعبارة أخرى نقول: هل هناك مبرّرات لحالة البكاء في حياة الإنسان؟

في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام نجد الجواب حيث يعرض العديد من مبرّرات البكاء فيقول: «وما لي لا أبكي؟

ولا أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تُخادعني، وأيامي تخاتلني، وقد خفقت عند رأسي أجنحةُ الموت!

فما لي لا أبكي؟

أبكي لخروج نفسي.

أبكي لظلمة قبري.

أبكي لضيق لحدي.

أبكي لسؤال منكرٍ ونكيرٍ إيَّاي.

أبكي لخروجي من قبري عريانًا ذليلًا حاملًا ثقلي على ظهري، أنظر مرةً عن يميني وأخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني ...».[1]

١- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٦.

هـذه بعض مـبرّرات البـكاء، فمن حالتـه هذه الحالـة ينبغـي أن يكون من البكائين وإلا فهو من الغافلين، فالمصـير المجهول الذي يواجه الإنسـان يهدّد مستقبله الأخروي، ومن يضمن حسن خاتمته في الدنيا؟

وقـد رأينا مـن عمالقة التاريـخ مَن تنتهي حياته بسـوء الخاتمـة، وما دمنا أحيـاءً، فنحـن لا ندري إلى أين تعصـف بنا ريـاح الحياة، ولا نملـك إلا أن ندعـو الله تعالى: «اللَّهُمَّ، ثَبِّتْنِي عَلى دِينِـكَ ما أَحْيَيْتَنِي، وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»[1]، ونعمل بهذا الدعاء. ومن مبرّرات البكاء ضـعف الإنسـان أمام شـهواته ونفسـه الأمَّارة بالسوء، وانصـياعه لها، وعدم معرفته بموعد انتهاء حياته، والعاقل لا يبكي لمصـيبةٍ آنيةٍ، وإنما يبكي لمصـائب حتمية ستأتيه ولو بعد حين، فلا بدّ من الاستعداد لها، وهي مصائب الموت، وظلمة القبر وضيقه، وسؤال منكر ونكير، والذنوب التـي يحملها الإنسـان فوق ظهـره، وقلّة الناصـر والمعين في ذلـك اليوم ... كل هـذه الأمور تحثّ الإنسـان على البكاء. والبـكاء الحقيقي هو الذي يدفع الإنسان؛ لتطهير نفسه وسلوكه من كل ما يعكّر صفو العلاقة مع الله تعالى.

مبرّرات البكاء في دعاء كميل

يعرضـ الإمـام علي عليه السلام بعض مـبرّرات البكاء، فيقول: «يا إلهي وسـيدي ومولاي، لأيّ الأمور إليك أشكو، ولما منها أضجّ وأبكي، لأليم العذاب وشدّته،

١- الصحيفة السجادية، دعاء يوم الجمعة، ص٢٩٠.

أم لطول البلاء ومدّته، فلئن صيّرتني للعقوبات مع أعدائك، وجمعت بيني وبين أهل بلائك، وفرَّقت بيني وبين أحبّائك وأوليائك ...، أم كيف أسكن في النار ورجائي عفوك، فبعزّتك يا سيّدي ومولاي، أقسم صادقًا لئن تركتني ناطقًا لأضجّنَّ إليك بين أهلها ضجيجَ الآملين، ولأصرخنَّ إليك صراخ المستصرخين، ولأبكينّ عليك بكاء الفاقدين».[١]

ومبرّرات البكاء كما رأيناه في ما سبق من النصوص كلها مبرّرات أخروية، وليس فيها من مبرّرات البكاء على الدنيا، فلا نجد فقرة تتكلّم عن البكاء على فقد مالٍ أو امرأة جميلة من نساء الدنيا، ولا فقد منصب من المناصب الدنيوية.

ونستفيد من هذه الفقرة أنَّ البكاء قد يكون في الدنيا خوفًا من عذاب الآخرة. وهناك بكاء آخر يبكيه الإنسان في النار من شدّة عذابها، وربما أوحت الفقرة أن الذي يبكي على نفسه من عذاب الآخرة في الدنيا قد يجنب نفسه عذاب الله في الآخرة؛ لأن البكاء من عذاب الله الأخروي في الدنيا يجنّب الإنسان المعاصي.

وفي الواقع أن الكلام عن الآخرة، وتذكّر أهوالها يستدعي البكاء، ولذلك يستنكر الله على الذين يضحكون ولا يبكون حينما يذكر لهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَزِفَتْ الْآزِفَةُ ❖ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ❖ أَفَمِنْ هَذَا

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ❖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾.[١]

العين الجامدة خلل لا بدّ من إصلاحه

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي، إليك أشكو قلبًا قاسيًا مع الوسواس متقلبًا، وبالرين والطبع متلبّسًا، وعينًا عن البكاء من خوفك جامدة، وإلى ما يسرّها طامحة».[٢]

وفي كثير من نصوص الأدعية المباركة تقترن الدموع بالقلب، وكأن العيون مرآة للقلب، فإذا خشع القلب بكت العين، وإذا قسى القلب جمدت العين، يقول الإمام علي عليه السلام: «ما جفّت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب».[٣]

والإمام زين العابدين عليه السلام يشكو إلى الله من العين الجامدة والقلب القاسي؛ لأن ذلك يعني ارتكاب المعاصي من دون أيّ تأثّر نفسي، وعدم التراجع والتوبة، والاستغراق في الانحراف، أما البكاء والقلب الرقيق الحيّ، فيدلّ على أن الإنسان توّاق للرجوع إلى ربّه والتراجع عن ذنبه.

ثم يقول الإمام: «وإلى ما يسرّها طامحة»، فالعين تحتاج إلى عملية سيطرة وتحكّم، وهي عملية في غاية الصعوبة لا سيما في عصرنا الذي يعجّ بصور

١- سورة النجم: ٥٧- ٦٠.

٢- الصحيفة السجادية، مناجاة الشاكين، ص٢٩٧.

٣- علل الشرائع ٨١/١.

المجون والإغراء أينما ولّى الإنسان وجهه.

ولغضّ البصر ثواب عظيم يضيق عنه المقام هنا.

فالإنسان المؤمن لا ينبغي عليه أن يترك عينه تنظر ما تشتهي وما يسرّها؛ لأنه مسؤول عما ينظر إليه، فينبغي عليه أن يقود عينه إلى ما يرضي ربّه، لا أن يجعل عينه تقوده إلى ما يسخط ربّه.

اللَّهمَّ اجعلني من البكّائين

المؤمن يطلب من ربّه العديد من الأمور التي تهمّه، ومن هذه الأمور أن يكون من البكائين، فقد ورد في دعاء الإمام علي عليه السلام: «واغرس اللهم، بعظمتك في شِربِ جَناني ينابيع الخشوع، وأجرِ اللَّهمَّ، لهيبتك مِن آماقي زفراتِ الدموع».[١]

والجَنان - بفتح الجيم - هو القلب، وهذا نص آخر يربط بين خشوع القلب، وبكاء العين.

وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهمَّ، اجعلنا ممَّن دأبُهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والأنين، جباهُهم ساجدةٌ لعظمتك، وعيونُهم ساهرةٌ في خدمتك، ودموعُهم سائلةٌ من خَشيتك، وقلوبُهم متعلّقةٌ بمحبّتِك، وأفئدتُهم منخلعةٌ من مهابتِك».[٢]

١- مفاتيح الجنان، دعاء الصباح، ص٩٣.

٢- الصحيفة السجادية، مناجاة المحبّين، ص٣١٦.

وهنا - أيضًـا - نلاحظ اقتران الدموع بحبّ القلب، وخشيته من الله تعالى، كما نستفيد من هذه الفقرة أن لا يكون البكاء حالة طارئة على حياة الإنسان المؤمن في وقت من الأوقات، أو يكون حالة موسمية، بل ينبغي أن يلازم البكاء حياة المؤمن بصورة مستمرّة وفعّالة.

سـمعت أحد العلماء يقول: (إنَّ مَن لا يبكي، فعليه أن يبكي على نفسـه؛ لأنه لا يبكي).

وهـذا القول صـحيح، لأن مَن لا يبكي يعيش خللًا في شخصـيته، وعليه أن يسأل الله أن يصلح هذا الخلل في شخصيته ويجهد نفسه في إصلاحه، ولذا ورد الحـثّ علـى التباكي، يقول الإمـام الصـادق عليه السلام: «إنْ لم يجئك بكاءٌ فتباكَ، فإن خرج منك مثل رأس الذباب فبخٍ بخٍ».[١]

البكاء من صفات المحبِّين

البكاء من صـفات المحبّين لله تعالى حيث يقضون لياليهم بالبكاء شوقًا لله، وخوفًـا منه، وهذا ما ورد في الدعاء: «يا حبيـب الباكين»[٢]، وأن هذا البكاء هو بعين الله: «يا مَن يرى بكاءَ الخائفين».[٣]

١- أصول الكافي ٢/ ٤٨٤.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، فقرة ٨٧، ص١٤٢.

٣- المصدر السابق، دعاء الجوشن الكبير، فقرة ٦٣، ص١٣٩.

والمؤمن يبكي حينما يسمع آيات الله، قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.[١]

والمؤمن يبكي إذا فاتته طاعة من الطاعات كما بكى الصحابة المؤمنون عندما سقط عنهم تكليف الجهاد وأحسّوا بمرارة وحزن، تعبّر عنه الآية الكريمة: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[٢]، وهذا دليل على حرص المؤمن على الطاعة، وأنه لا يكتفي بسقوط التكليف عنه؛ لأن هؤلاء الصحابة الكرام سقط عنهم تكليف الجهاد، ولكنهم يتحسّرون على عدم توفيقهم للجهاد وإنْ كان غيرهم ربّما يفرح بهذه الرخصة، وسقوط التكليف عنه؛ لأنه سيبعد عنه شبح الموت كما يظنّ.

البكاء باب من أبواب المغفرة والرَّحمة الإلهيَّة

البكاء من خشية الله يجعل الإنسان متعرّضًا لرحمة الله كما ورد في الدعاء: «يا راحم العَبَرات».[٣]

وهناك فقرة أخرى تشير - أيضًا - لارتباط البكاء، وخشية القلب، كما تشير إلى حقيقة أن البكاء من خشية الله يهيِّئ الإنسان لنزول الرحمة الإلهية عليه

١- سورة مريم: ٥٨.

٢- سورة التوبة: ٩٢.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، فقرة ٢٤، ص١٣٤.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «فصلِّ على محمدٍ وآله وارحمني، وأنت الذي سمَّيتَ نفسكَ بالعفو، فاعفو عنّي.

قد ترى يا إلهي، فيض دمعي من خيفتك، ووجيب قلبي من خشيتك، وانتفاض جوارحي من هيبتك، كلُّ ذلك حياءً منّي لسوء عملي، ولذلك خمد صوتي عن الجأرِ إليك، وكَلَّ لساني عن مناجاتك».[١]

وفي نفس الدعاء فقرة أخرى تؤكّد هذا الأمر حيث يقول عليه السلام: «هل أنت يا إلهي، راحمٌ من دعاك فأبلغ في الدعاء؟

أم أنت غافرٌ لمَن بكاك فأسرع في البكاء؟

أم أنت متجاوزٌ عمّن عفَّر لك وجهه تذلُّلًا؟

أم أنت مغنٍ من شكا إليك فقرَهُ توكُّلًا».[٢]

ومن الواضح أن هذه الأمور بمثابة الأبواب التي تطلب منها المغفرة والرحمة الإلهيّة.

وهنا نلتقي مع فقرة أخرى تبيّن أن البكاء من أبواب الرحمة الإلهية، وتربط بين خشوع القلب ودموع العين، بل وتزيد على ذلك حيث ترسم لنا صورة رائعة للعبد الخاشع أمام ربّه، حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «فقام إليك بقلبٍ طاهر نقيّ، ثم دعاكَ بصوتٍ حائلٍ خفيّ، قد تطأطأ لك فانحنى، ونكَّس رأسهُ فانثنى، قد أرعشتْ خشيتُهُ رجليه، وغرَّقتْ دموعُهُ خدَّيه،

١- الصحيفة السجادية، ص٨٤.

٢- المصدر السابق، ص٨٣.

يدعوك بيا أرحم الراحمين، ويا أرحم من انتابه المسترحمون ...».[١]

ويربـط الإمام علي عليه السلام بين الرحمة والبكاء، فيقول: «ارحم من رأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء».[٢]

البكاء مع الاعتراف بالتقصير

المشـكلة التي يقع فيهـا البعض أنه بمجرّد أن يوفّـق لأداء بعض الركعات، أو يقـوم ببعض الطاعات، أو تسـيل منـه بعض الدموع يعتقد بأنـه قد أدّى حقّ الله عليه، وأنه وصل إلى مرحلة لا يشعر فيها بالتقصير تجاه ربّه والاستغفار مـن ذنبـه، وهذه الفقـرة من دعاء الإمـام زين العابديـن عليه السلام تعالج هذه المشكلة حيث يقول عليه السلام: «يا إلهي، لو بكيتُ إليكَ حتى تسقط أشفارُ عيني، وانتحبتُ لك حتى ينقطع صـوتي، وقمتُ لكَ حتى تتنشر قدماي، وركعتُ لكَ حتى ينخلع صـلبي، وسـجدتُ لكَ حتى تتفقّأ حدقتاي، وأكلـتُ ترابَ الأرضِ طولَ عمري، وشـربتُ ماءَ الرمادِ آخر دهـري، وذكرتُك في خلال ذلك حتى يكلّ لسـاني، ثم لم أرفعْ طرفي إلى آفاقِ السـماءِ استحياءً منك ما استوجبت بذلك محو سيّئة واحدةٍ من سيّئاتي».[٣]

فمـا ذكرناه مـن أن البكاء باب مـن أبواب نزول رحمة الله صـحيح، ولكنه مقرون بتفضّل الله على عبده، وهو ما يؤكّده الإمام في تكملة الفقرة السابقة:

١- المصدر السابق، من دعائه في الاعتراف وطلب التوبة، ص٧٠.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص١٠١.

٣- الصحيفة السجادية، ص٨٦.

«وإن كنتَ تغفر لي حينَ أستوجبُ مغفرتك، وتعفو عنّي حين أستحقّ عفوك، فإنَّ ذلك غير واجبٍ لي باستحقاق، ولا أنا أهلٌ له باستيجاب، إذ كان جزائي منك في أوّل ما عصيتك النار، فإن تعذّبني فأنت غيرُ ظالمٍ لي».[١]

البكاء لإظهار المظلومية

والبكاء سلاح مهمّ استخدمه الإمام زين العابدين عليه السلام والأئمة المعصومين في إظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وخطّ أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد في زيارة الناحية: «لأندبنّك صباحًا ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دمًا»[٢]، وفي الدعاء: «فعلى الأطائبِ من أهل بيت محمد وعلي (صلّى الله عليهما وآلهما)، فليبكِ الباكون، وإيّاهم فليندب النادبون، ولمثلهم فلتُذرف الدموع، ويضجّ الضاجون، ويعجّ العاجون ...».[٣]

والمتتبّع لسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام يقرأ فيها أنه ما عرض عليه طعام ولا شراب إلا بلّله بالدموع حزنًا على الحسين عليه السلام، وأنه كان يستثير عواطف الناس حتّى في الأسواق، حيث يخاطب الجزّارين بأن الكبش لا يذبح حتى يُروى بالماء، أما ابن رسول الله، فيقتل عطشانًا!!

وللبكاء دور كبير في تغيير النفوس وإصلاحها؛ ولذلك حثّ عليه أهل البيت عليهم السلام.

١- المصدر السابق، ص٨٦.

٢- المزار، ابن المشهدي، ص٥٠١.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء الندبة، ص٦١١.

البكاء قد يكون وسيلة للخبثاء

ومـع أن للبـكاء فضـائله العظيمة ونعوتـه الكريمة إلا أن البعض يسـتخدمه لأغراض خبيثة، فقد يتصنّع شخص البكاء؛ لكي يقنع فتاةً بأنه يحبّها، فتقع في فخّه، ويغويها، فتخسر مستقبلها الدنيويّ والأخرويّ.

وقد يسـتخدم البعض البكاء في تغييب الحقائق كما فعل إخوة يوسف عليه السلام كما يحكي القرآن الكريم عنهم: ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ ❖ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْـتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.[1]

١- سورة يوسف: ١٦-١٧.

الذِّكر اللفظي والذِّكر القلبي والعملي

مفهوم الذِّكر

الذِّكر على قسمين:

١- ذكـر لفظي: وهو أن يذكر الإنسـان ربّه بلسـانه، ويسـبِّح، ويهلِّل، ويكبِّر، ويستغفر ... إلخ.

٢- ذكـر عملي: وهو أن يمتنع الإنسـان عن فعل معصـية من المعاصـي؛ لأنه يخاف الله، حتى ولو لم يذكر الله بلسانه.

لو اطَّلعنا على تعاليم أهل البيت عليهم السلام؛ لتبيّن لنا أن ذِكر الله لا يقتصر على قولنا: (سـبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر)، ولكن الذِّكر الحقيقـي يتحقَّق إذا ورد الإنسـان على ما يحـرم عليه خاف الله عزّ وجلّ عنده وتركه، ومَن قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، ولكن بشرط أن يقولها مخلصًا، والإخلاص يقتضي ترك المحرمات.

وذِكرُ الله حسن على كل حال لإطلاق الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وأحسن أنواع الذِّكر ترك المحرّمات، وفعل الخيرات، أيّ ما اصطلحنا عليه بالذِّكر العملي.

١- سورة الأحزاب: ١٤.

ذِكر الله شرف للذَّاكرين

في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في خواتم الخير: «يا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْر، وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْر، وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَة».[١]

وأيّ شرف أعظم من أن يذكر الإنسان ربّه، ويجعل من هذا الذِّكر قنطرة إلى رضاه.

ذِكر الله مفزع المضطرّين

حينما تضيق الدنيا بالإنسان المؤمن يفزع إلى ربّه ذاكرًا وداعيًا وملتجئًا، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَيَا مَنْ إلَى ذِكْرِ إحْسَانِهِ يَفْزَعُ الْمُضْطَرُّونَ».[٢]

وما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام في هذه الفقرة يتوافق مع ما ذَكَره القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[٣]

اذكروني أذكركم

أيّ: نعمة أعظم من أن يذكر الإنسان ربّه فيذكره ربّه، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي

١- الصحيفة السجادية، من دعائه بخواتم الخير، ص٦٧.

٢- المصدر السابق، ص٨٢.

٣- سورة الرعد: ٢٨.

أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[١]، وأيّ شقاء أكبر من أن ينسى الإنسان ربّه فينساه ربّه؟، قال تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[٢]

فالذكر الحقيقي يتمثّل في سلامة القلب كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لنفسه وأهل ولايته: «وَاجْعَلْ سَلاَمَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ، وَفَرَاغَ أَبْدَانِنَا فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ، وَانْطِلاَقَ أَلْسِنَتِنَا فِي وَصْفِ مِنَّتِكَ»[٣]؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يقدم على معصية وهو ذاكرٌ لله تعالى.

ولو أتينا لفلسفة استحباب البدء بالبسملة عند افتتاح أيّ عمل لوجدنا أن لهذا مدلوله، فلو فرضنا أن إنسانًا يريد أن يسرق، هل يكون من المناسب أن يبدأ بالبسملة في هذه السرقة؟

إنَّ الذي يبدأ بالبسملة في كلِّ أعماله يفترض أن تكون كل أعماله صالحة، وإلا فهو يناقض نفسه؛ لأنه لا يذكر الله ذِكْرًا حقيقيًّا.

القلب.. هل نجعله عامرًا بذكر الله، أم مرتعًا للشيطان؟

يحتاج الإنسان إلى جهد وجهاد في عملية السيطرة على القلب وجعلها خالية من وساوس الشيطان والاتّجاه به إلى الله، ولذلك يطلب الإمام زين

١- سورة البقرة: ١٥٢.

٢- سورة الحشر: ١٩.

٣- الصحيفة السجادية، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ص٥٣.

العابديـن عليه السلام أن يسـتبدل الله آفـات القلـب بذكر الله، وحمـده، والثناء عليـه، يقول عليه السلام: «اللَّهُـمَّ، اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّـيْطَانُ فِي رَوْعِي مِـنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَـدِ ذِكْرًا لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّـرًا فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيرًا عَلَى عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَـانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْش، أَوْ هُجْر، أَوْ شَـتْمِ عِرْض، أَوْ شَـهَادَةِ بَاطِل، أو اغْتِيَابِ مُؤْمِن غَائِبٍ، أَوْ سَـبِّ حَاضِر، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقًا بِالْحَمْدِ لَكَ وَإِغْرَاقًا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَابًا فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُـكْرًا لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافًا بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمَنِّكَ».[١]

والقلـب الذي يطلبـه الإمام زيـن العابدين عليه السلام من ربّه تعالى له صـفات يذكرهـا، فيقول عليه السلام: «اللَّهُمَّ، صَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَفَـرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ، وَاشْـغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَانْعَشْـهُ بِخَوْفِكَ، وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَأَمِلْهُ إِلَى طَاعَتِكَ، وَأَجِرْ بِهِ فِي أَحَبِّ السُّـبُلِ إِلَيْكَ، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَكَ أَيَّامَ حَيَاتِي كُلِّهَا».[٢]

القلب مرآة لذكر اللسان

لا بدّ أن يكون هناك انسجام بين الباطن والظاهر؛ لكي يؤدّي الذِّكر دوره في قرب الإنسان إلى ربّه.

١- المصدر السابق، من دعائه في مكارم الأخلاق، ص١٠٠.

٢- المصدر السابق، من دعائه إذا أحزنه أمر أو أهمّته الخطايا، ص١٠٧.

فالذِّكر اللساني لا بدّ أن يتّصل اتّصالًا وثيقًا بالذِّكر القلبي حتى لا يكون الذِّكر جسدًا بلا روح، وهذا ما يؤكّد عليه الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إذا سأل الله العافية وشكرها، يقول عليه السلام: «وَأَنْطِقْ بِحَمْدِكَ، وَشُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ لِسَانِي، وَاشْرَحْ لِمَرَاشِدِ دِينِكَ قَلْبِي».[١]

ويقول الإمام علي عليه السلام «يا إلهي وسيدي وربي، أتراكَ معذّبي بنارك بعدَ توحيدكَ، وبعدما انطوى عَليه قلبي من معرفتكَ، ولهِجَ به لساني من ذِكركَ، واعتقدهُ ضميري من حبِّكَ، وبعد صدقِ اعترافي ودعائي خاضعًا لربوبيتك».[٢]

وهذا نص آخر يشير إلى أن الذكر اللساني ينبغي أن يقترن بمعرفة قلبية، وأن هذا الأمر من موجبات النجاة من العذاب الإلهي، ويقول الإمام علي عليه السلام أيضًا: «واجعلْ لساني بذكركَ لهجًا، وقلبي بحبّكَ متيّمًا».[٣]

الذِّكر حياة للقلب

القلب الذي يذكر الله قلب حيّ، أمّا القلب الذي لا يذكر الله فهو كالصحراء الجرداء المقفرة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «يا مَوْلايَ، بِذِكْرِكَ عاشَ قَلْبي، وَبِمُناجاتِكَ بَرَّدْتُ أَلَمَ الْخَوْفِ عَنّي».[٤]

١- المصدر السابق، من دعائه إذا سأل الله العافية وشكرها، ص١١٥.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

٣- المصدر السابق، دعاء كميل، ص١٠١.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٧.

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي، فَأَحْيِه بِتَوْبَة مِنْكَ يا أَمَلِي وَبُغْيَتِي، وَيا سُؤْلِي وَمُنْيَتِي».[١]

الحذر من الغفلة

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إلى مَحَبَّتِكَ سَبيلًا سَهْلَةً أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».[٢]

واللطيف أن الإمام يربط هذا التحذير من الغفلة بقضية محدودية عمر الإنسان، فلو استمر الإنسان في غفلته قد تنقضي هذه المهلة، ويخسر مستقبله الأخرويّ، ولذلك فالضمانة الأكيدة التي تضمن للإنسان النجاة من عذاب الله هو الاستمرار على حالة الذِّكر الحقيقي الذي يربطه بالله تعالى.

وفي نص آخر يحذّر الإمامُ الإنسان من الغفلة فيقول عليه السلام: «اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلاَ تَجْعَلْنِي نَاسِيًا لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي، وَلاَ غافِلًا لإِحْسَانِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَنِي».[٣]

وفي دعاء الجوشن الكبير: «يا مَنْ لَهُ ذِكْرٌ لا يُنْسى».[٤]

١- الصحيفة السجادية، مناجاة التائبين، ص٢٩٣.

٢- المصدر السابق، من دعائه في مكارم الأخلاق، ص١٠٤.

٣- المصدر السابق، من دعائه إذا أحزنه أمر او أهمّته الخطايا، ص١٠٧.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، فقرة ٧١، ص١٤٠.

الذِّكر تعزيز للعلاقة مع الله

هنـاك العديـد من الناس ممَّـن يتقرّبون للملـوك، وذوي النفوذ، والسُّـلطة ظنًّـا منهم أنهـم بهذا العمل سيكتسـبون المزيد من فرص القوة والسُّـلطان والهيمنة، أما الذين ينظرون بعين الآخرة، ولا يقفون عند حدود العلم بظاهر مـن الحياة الدنيا، فإنهم يتقرّبـون إلى الله بذِكره، فإنه كما ورد في الدعاء: «يا أَعَزَّ مَذْكُورٍ ذُكِر».[١]

وورد أيضًا: «يا خَيْرَ الذّاكِرينَ».[٢]

فـإن مَن يطلب العزّة فـإن العزّة لله جميعًـا، والذي يطلب القـوّة فإن القوّة لله جميعًـا، ولذلـك فإن الإمـام زين العابدين عليه السلام في دعائـه متفرّغًا إلى الله تعـالى يحثّ على التعلّق بالله، والاعتقاد بأنه هو مسـبّب الأسـباب، وأن ما سـوى الله لا يملك من أمره شـيئًا إلا بإذن الله، يقول عليه السلام: «اللَهُمَّ، إنِّي أَخْلَصْـتُ بِانْقِطاعِي إلَيْكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ، وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَمَّنْ يَحْتَاجُ إلَى رِفْـدِكَ، وَقَلَبْتُ مَسْـأَلَتِي عَمَّنْ لَمْ يَسْـتَغْنِ عَنْ فَضْـلِكَ، وَرَأَيْـتُ أَنَّ طَلَبَ الْمُحْتَاجِ إلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهٌ مِنْ رَأيِهِ وَضَلَّةٌ مِنْ عَقْلِهِ، فَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ يَا إلهِيْ مِنْ أُنَاسٍ طَلَبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِكَ فَذَلُّوا، وَرَامُوا الثَّرْوَةَ مِنْ سِوَاكَ فَافْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الارْتِفَاعَ فَاتَّضَعُوا، فَصَحَّ بِمُعَايَنَةِ أَمْثَالِهِمْ حَازِمٌ وَفَّقَهُ اعْتِبَارُهُ وَأَرْشَدَهُ إلَى طَرِيقِ صَوَابِهِ بِاخْتِبَارِهِ، فَأَنْتَ يَا مَوْلايَ دُونَ كُلِّ مَسْؤُول مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي، وَدُونَ

١- المصدر السابق، دعاء الجوشن الكبير، فقرة ٨٦، ص١٤٢.

٢- المصدر السابق، دعاء الجوشن الكبير، فقرة ٣، ص١٣٢.

كُلِّ مَطْلُوب إلَيْهِ وَلِيُّ حَاجَتِي.

أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي لاَ يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلاَ يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي.

لَكَ يَا إلهِي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَفَضِيلَةُ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِهِ، مُخْتَلِفُ الْحَالاَتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ. فَتَعَالَيْتَ عَنِ الأَشْبَاهِ وَالأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الأَمْثَالِ وَالأَنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لاَ إلهَ إلاَّ أَنْت».[١]

عظمة الذِّكر

لكي نطّلع على عظمة الذِّكر لله تعالى نقف مع رائعة من روائع الإمام زين العابدين عليه السلام، حيث يقول: «إلهي، لَوْلا الْواجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إيَّاكَ، عَلى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي، لا بِقَدْرِكَ، وَما عَسى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدارِي، حَتّى أُجْعَلَ مَحَلاً لِتَقْدِيسِكَ»[٢]، وهذا ما يؤكّد أن الذِّكر شرف للذاكرين.

ثم يضيف عليه السلام: «وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنا جَرَيانُ ذِكْرِكَ عَلى أَلْسِنَتِنَا، وَإِذْنُكَ لَنا بِدُعآئِكَ، وَتَنْزِيهِكَ وتسبيحك».[٣]

١- الصحيفة السجادية، من دعائه متفرّغًا إلى الله عزّ وجلّ، ص١٣٤.

٢- الصحيفة السجادية، مناجاة الذاكرين، ص٣٢٦.

٣- المصدر السابق.

فرغـم كثرة النِّعـم، وتنوّعها، وتعدُّدهـا اعتبر الإمام زيـن العابدين عليه السلام جريان ذِكر الله من أعظمها.

وهل يمكن للغافلين أن يدركوا عظمة هذه النعمة التي منَّ الله بها على عباده؟

اقتران الذِّكر بالعمل

وللتأكيـد على أن الذِّكر ينبغي أن يقترن بما يناسـبه من العمل، نجد العديد مـن النصـوص في هـذا المجال، ففـي مناجـاة الذَّاكرين يقـول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَآنِسْـنا بِالذِّكْرِ الْخَفِيِّ، وَاسْتَعْمِلْنا بِالْعَمَلِ الزَّكِيِّ، وَالسَّعْيِ الْمَرْضِيِّ».[١]

فالذِّكر أنس، والبعد عنه وحشة.

وهذا الأنس يكون مع الإنسان المؤمن حتى في أشدّ الظروف وأقساها، ولذلك قال الإمام موسـى الكاظم عليه السلام وهو في السـجن بما مضمونه: «الحمد لله الذي فرّغني لعبادته».

ولا تخفى شدّة الظروف، وقساوتها في سجنه عليه السلام والتي نقرأ بعض الصور منها في زيارته عليه السلام، فهو المعذَّب في قعر السجون، وظُلَم المطامير.

وفي دعاء الجوشن الكبير: «يا مَنْ ذِكْرُهُ حُلْوٌ».[٢]

١- المصدر السابق.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٤٩، ص١٣٧.

وفي دعاء آخر قال الإمام علي عليه السلام: «أن تجعل أوقاتي في الليل والنهار بذِكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة».[١]

وهذا نصّ آخر يؤكّد على أهمية اقتران الذكر بالعمل، والمتأمّل في كلمة معمورة يستفيد بأن الحياة إنما تعمر بذِكر الله، وأن الحياة الخالية من ذِكر الله تكون خاوية على عروشها مهما تمتّعت بزخارف الدنيا وزينتها.

آثار وتأثير الذِّكر

وفي هذا النص من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «اَللّهُمَّ، اشْغَلْنا بِذِكْرِكَ، وَأَعِذنا مِنْ سَخَطِكَ، وَأَجِرْنا مِنْ عَذابِكَ، وَارْزُقْنا مِنْ مَواهِبِكَ، وَأَنْعِمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلِكَ».[٢]

والربط بين هذه العبارات ينتج عنه أن الذِّكر الحقيقي يؤدّي إلى النجاة من السخط الإلهي، والإجارة من العذاب الإلهي، وبالتالي فهو سبب من أسباب الحصول على المواهب والنِّعم الإلهية التي يحرم منها من يبتعد عن الذِّكر.

ومن آثار الذِّكر شفاء القلوب والأبدان، فقد ورد في دعاء كميل «يا من اسمهُ دواء، وذكره شفاء».[٣]

١- المصدر السابق، دعاء كميل، ص١٠٠.

٢- المصدر السابق، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٤٣.

٣- المصدر السابق، دعاء كميل، ص١٠١.

وأيضًا في دعاء الإمام علي عليه السلام: «اللهمَّ، إني أتقرّبُ إليكَ بذكرِكَ، وأستشفعُ بكَ إلى نفسِك».[١]

فالذِّكر يقرّب الإنسان لله تعالى، ويحتاج الإنسان إلى جهاد النفس؛ لكي يتمكن من أن يصل إلى درجة الذَّاكرين، ويحظى بالقرب من ربّه لا سيما في ظلّ وجود الكثير من الأمور الدنيوية التي تعيق الإنسان عن الذِّكر، وهذا الذكر - أيضًا - يشفي الصدور من التعلّق بالدنيا، «وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ».
في نصّ آخر يقترن فيه الذِّكر بالقرب: «وأسألك بجودك أن تدنيني من قربك، وأن توزعني شكرك، وأن تلهمني ذِكرك».[٢]

الذِّكر عند البلاء

الإنسان المؤمن ينبغي عليه أن يذكر الله عند الابتلاءات التي يراها في هذه الدنيا، ويسأل الله الصبر على ما هو عليه، كما ينبغي أن يشكر الله على ما كفاه من هذه الابتلاءات التي ابتلى بها غيره.

وقد تكرّرت هذه العبارة في دعاء الجوشن الصغير: «فَلا إِلـهَ إِلَّا اَنْتَ سُبْحانَكَ مِنْ مُقْتَدِر لا يُغْلَبُ، وَذي أَناة لا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، واْجعَلْني لَكَ مِنَ الْعابِدينَ، ولِنَعْمائِكَ مِنَ الشّاكِرينَ، وَلآلائِكَ مِنَ الذّكِرينَ، وَارْحَمْني بِرَحْمَتِكَ يا رَحَمَ الرّاحِمينَ».[٣]

١- المصدر السابق، دعاء كميل، ص٩٨.
٢- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٦.
٣- المصدر السابق، دعاء الجوشن الصغير، ص١٤٤.

الصَّلاة على محمَّد وآل محمَّد

الآثار الإيجابيَّة للصَّلاة على محمَّدٍ وآل محمَّد

ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «وجعل صلواتنا عليكم، وما خصَّنا به من وِلايتكم طِيبًا لخلقنا، وطهارةً لأنفسنا، وتزكيةً لنا، وكفَّارةً لذنوبنا».[١]

هذه بعض الآثار النفسية للصلاة على محمّدٍ وآل محمّد، ولذلك ورد الحثّ على الإكثار منها إلى درجة أنها صارت من أبرز الشعارات التي تنتشر في مجالس محبِّي محمَّد وآله، وترسّخت في نفوسهم.

ولا بأس أن أذكر قصةً مناسبة، حيث يُروى: (إنَّ بعض الشيعة دخلوا في الدين المسيحي بعد أن عُرضت عليهم بعض الإغراءات المادية، ولما ذهبوا الكنيسة انطفئت الكهرباء، وما إن رجعت الكهرباء حتى ضجَّت قاعة الكنيسة بالصَّلاة على محمّدٍ وآل محمّد).

أنا لا أدري إن كانت هذه القصة واقعية أم من نسج الخيال، ولكن الذي أدريه أن الصلاة على محمد وآل محمد تشدّ الإنسان إليهم، وتربطه عاطفيًّا ووجدانيًّا، بل عمليًّا إن اتّبعهم، واقتدى بهم.

١- مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة الكبيرة، ص ٦٢٣.

ومن آثار الصلاة على محمد وآله ما ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام في وداع شهر رمضان، حيث يقول: «اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد نَبِيِّنَا وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ.

وَصَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، صَلاَةً تَبْلُغُنَا بَرَكَتُهَا، وَيَنَالُنَا نَفْعُهَا، وَيُسْتَجَابُ لَها دُعَاؤُنَا».[١]

إذًا، من آثار الصلاة على محمد وآله تطييب الخلق، وطهارة النفس، وتزكية الإنسان، وتكفير الذنوب، وبلوغ البركة، ونيل النفع، واستجابة الدعاء، وقطعًا لها آثار أخرى ولكن هذا ما استفدناه من هذين النصّين المباركين.

الصلاة عليهم تقترن بصفاتهم عليهم السلام

الملاحظ في أدعيتهم عليهم السلام أنَّ الصلاة عليهم - بعض الأحيان - تقترن بصفاتهم عليهم السلام؛ وذلك من أجل التعريف بمقامهم السامي، ومنزلتهم الرفيعة، ففي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهمَّ، صلِّ على محمد وآل محمد شجرةِ النبوّة وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي.

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في وداع شهر رمضان، ص٢٠١.

اللهـم، صـلِّ على محمد وآل محمد الفلك الجاريـة في اللجج الغامرة، يأمن مَـن ركبهـا، ويغرق مَـن تركهـا، المتقدم لهم مـارق، والمتأخِّـر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق.

اللهـمَّ، صـلِّ علـى محمـد وآل محمد الكهـف الحصـين، وغياث المضـطر المستكين، وملجأ الهاربين، وعصمة المعتصمين».[١]

وفي دعاء الإمام علي عليه السلام: «صـلِّ اللهمَّ، علـى الدليلِ إليك في الليلِ الأَلْيَل، والماسـكِ من أسـبابكَ بِحبلِ الشـرفِ الأطول، والناصـعِ الحسـبِ في ذروةِ الكاهـلِ الأعبـل، والثابـتِ القدم عَلى زَحَاليفهـا في الزمـنِ الأول، وعلى آله الأخيارِ المُصْطَفَيْن الأبرار».[٢]

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام نـلاحظ أن الإمام يفصـل في وصـف النبـيّ صلى الله عليه وآله ، ويبيّن مقامه وجهاده وتضـحياته، حيث يقول عليه السلام: «اللّهمَّ، فَصَـلِّ عَلَـى مُحَمَّد أَمِينِكَ عَلَـى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِـكَ مِنْ خَلْقِكَ، وصَـفِيِّكَ مِنْ عِبَـادِكَ، إمَـامِ الرَّحْمَةِ، وَقَائِـدِ الْخَيْرِ، ومِفْتَـاحِ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَـبَ لأَمْرِكَ نَفْسَـهُ، وعَرَّضَ فِيْكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَـفَ فِي الدُّعَاءِ إلَيْكَ حَامَّتَهُ، وحَارَبَ فِي رِضَـاكَ أُسْـرَتَهُ، وَقَطَـعَ فِيْ إحْيَـاءِ دِينِكَ رَحِمَـهُ، وَأَقصَـى الأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِـمْ، وَقَرَّبَ الأَقْصَـيْنَ عَلَـى اسْـتِجَابَتِهِمْ لَكَ، ووالَى فِيـكَ الأَبْعَدِينَ،

١- مفاتيح الجنان، أعمال شهر شعبان، ص ٢٠٧.

٢- المصدر السابق، دعاء الصباح، ص٩٣.

وعَادى فِيكَ الأَقْرَبِينَ، وَأَدْأَبَ نَفْسَـهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَـالَتِكَ، وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعاءِ إِلَى مِلَّتِكَ، وشَـغَلَهَا بِالنُّصْحِ لأَهْلِ دَعْوَتِكَ، وَهَاجَرَ إِلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ، وَمحَلِّ النَّأْيِ عَـنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِـعِ رِجْلِهِ وَمَسْـقَطِ رَأْسِـهِ، وَمَأْنَسِ نَفْسِـهِ إِرَادَةً مِنْهُ لإِعْزَازِ دِيْنِكَ، واسْتِنْصَـارًا عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ، حَتّى اسْـتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ، وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيآئِكَ، فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحًا بِعَوْنِكَ وَمُتَقَوِّيًا عَلَى ضَـعْفِهِ بِنَصْـرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ، وَهَجَـمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ حَتّى ظَهَر أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».[١]

فهـذه عبارات موجزة ليسـت مجـرّد دعاء، وإنما هي ثقافـة ننهلها من زين العابديـن عليه السلام، هـي درس في عظمـة سـيّد الأنبيـاء صلى الله عليه وآله، ودرس في الصمود ومواجهة الأعداء بل مواجهة الأقرباء، والصبر على الغربة، والبعد عن الوطن في سبيل الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله.

ونلاحظ أنَّ الإمام فصَّل في العديد من العبارات حالة بُعدِ النبيّ صلى الله عليه وآله عن وطنه (مكة)، فقال: «وَهَاجَرَ إِلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ، وَمحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِـعِ رِجْلِهِ، وَمَسْـقَطِ رَأْسِـهِ، وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ»، وكان يسـتطيع أن يختصر ويقول: (ابتعد عن وطنه)، ولكنه يريد أن يبيّن مدى حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لوطنه (مكة)، وارتباطه به، وتأثّره في البعد عنه، وصبره في غربته في سبيل الله.

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، ص٣٩.

كما يحثّ الدعاء على الحبّ في الله، والبغض في الله، والأخوّة في الله، والعداء في الله، حتى لو تعارض ذلك مع النسب، فرسول الله صلى الله عليه وآله قرّب سلمان الفارسي، وقال: «سلمان منّا أهل البيت»[١]، وأما أبو لهب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، فنزلت فيه سورة كاملة تذمّه، وتذمّ زوجه وهي سورة المسد.

وكذلك يرشد الدعاء إلى نصر الله للمؤمنين بعد الصبر كما نصر رسوله صلى الله عليه وآله على المشركين بعد أن صبر واستعان بالله، فكذلك ينبغي للمؤمنين أن يصبروا، ويستعينوا بالله، وأن لا يستعجلوا النصر.

هذه بعض الأمور التي نستفيدها من هذه الفقرة المباركة.

إذًا، هذه الفقرة ليست مجرّد دعاء فقط، وليست هي مجرّد سرد قصة النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنما هناك أمور لا بدّ للداعي أن يستحضرها حينما يدعو ربّه، ويستفيد من هذه الثقافة الروحية العميقة التي تتدفّق من هذه الكلمات النورانية.

وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَدَّى ما حَمَّلْتَهُ إلَى الْعِبادِ، وَجاهَدَ فِي اللهِ عزّ وجلّ حَقَّ الْجِهادِ، وَأَنَّهُ بَشَّرَ بِما هُوَ حَقٌّ مِنَ الثَّوابِ، وَأَنْذَرَ بِما هُوَ صِدْقٌ مِنَ الْعِقابِ».[٢]

١- عيون أخبار الرضا، ٢/٦٤.

٢- المصدر السابق، دعاء يوم الجمعة، ص٢٩٠.

حبّ محمد وآله

يقـول الإمام السـجاد عليه السلام: «اللَّهُمَّ، يَا مَنْ خَصَّ مُحَمَّدًا وآلَـهُ بِالْكَرَامَةِ، وَحَبَاهُمْ بِالرِّسَالَةِ، وَخَصَّصَـهُمْ بِالْوَسِيلَةِ، وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الأَنْبِياءِ، وَخَتَمَ بِهِمُ الأَوْصِيَاءَ وَالأَئِمَّةَ، وَعَلَّمَهُمْ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، فَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَافْعَـلْ بِنَا مَـا أَنْتَ أَهْلُهُ فِي الدّيْنِ وَالدُّنْيَـا وَالآخِرَةِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ».[١]

وصـفُ محمدٍ وآلهِ في هذه الفقرة سبق الصلاة عليهم، ولكل عبارة من هذه الفقرة مدلولات رائعة.

وأريـد أن أقف على قوله عليه السلام: «وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِـنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ»، وأنا أتصـوّر الملايين التي تزحف؛ لتزور الرسـول الأعظـم صلى الله عليه وآله، أو البقيع، أو الأئمة عليهم السلام في العراق، أو الإمام الرضا عليه السلام في إيران.

سبحان الله، ما الذي جعل هذه الملايين تحبُّ آل البيت عليهم السلام كل هذا الحبّ، رائع هذا التعبير: «تَهْوِي إِلَيْهِمْ»، فهو أبلغ من أن يشرحه شارح.

تكرار الصلاة على محمّدٍ وآله بعد كل عبارة

من المعروف أن من آداب الدعاء الابتداء بالصلاة على محمد وآله، والحمد والثنـاء علـى الله، ولكننا نرى أن بعض الأدعية لا تبدأ بالصـلاة فقط، بل تتخلّل الصـلاة عباراتها بشكل متكرّر وملفت للنظر كما في دعاء الإمام زين

١- المصدر السابق، من دعائه في ذكر آل محمّد صلى الله عليه وآله، ص٢٦٤.

العابديـن عليه السلام، حيث يقول: «يا مَنْ لا تَنْقَضِـي عَجَائِبُ عَظَمَتِهِ، صَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاحْجُبْنَا عَنِ الإلْحَادِ فِي عَظَمَتِكَ.

وَيَا مَنْ لاَ تَنْتَهِي مُدَّةُ مُلْكِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنْ نَقِمَتِك.

وَيَـا مَنْ لا تَفْنَى خَزَائِنُ رَحْمَتِهِ، صَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لَنا نَصِـيبًا فِي رَحْمَتِكَ.

وَيَا مَنْ تَنْقَطِعُ دُونَ رُؤْيَتِهِ الأبْصَارُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَدْنِنَا إلَى قُرْبِكَ.

وَيَا مَنْ تَصْغُرُ عِنْدَ خَطَرِهِ الأخْطَارُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَكَرِّمْنَا عَلَيْكَ.

وَيَـا مَـنْ تَظْهَرُ عِنْـدَهُ بَوَاطِـنُ الأخْبَارِ، صَـلِّ عَلَى مُحَمَّـد وَآلِهِ وَلاَ تَفْضَـحْنَا لَدَيْكَ».[١]

فأمامنا سـت عبارات في هذه الفقرة تتخلّل كل فقرة من الفقرات الصـلاة على محمد وآله، وهـذا التكرار ليس تكرارًا اعتباطيًّا، وإنما له دلالات مهمّة في أثر الصلاة على محمد وآله في استجابة الدعاء، ونلاحظ في نفس الدعاء بعد العديد من العبارات التي تتخلّلها الصـلاة على محمد وآله، يقول الإمام السـجاد عليه السلام: «اللّهُمَّ، إنَّما يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْـلِ قُوَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى محَمَّد وَآلِـهِ، وَأكْفِنَا وَإنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُونَ مِنْ فَضْـلِ جِدَتِكَ فَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَأعْطِنَا، وَإنمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآلِهِ وَاهْدِنَا»[٢]، وهو شاهد آخر على ما قلناه.

وكذلـك في دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام تكرّرت عبارة:

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ص٥١.

٢- المصدر السابق، من دعائه لنفسه وأهل ولايته، ٥٢.

«اللهمَّ، صلّ على محمد وآله» تسعة عشر مرَّة.[١]

اقتران الصلاة على النبيّ بالدعاء له صلى الله عليه وآله

يقـول الإمام زين العابدين عليه السلام : «اللَّهُمَّ، فَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّـد وَآلِهِ أَكْثَرَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَد مِنْ خَلْقِكَ، وَآتِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا آتَيْتَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، وَأَجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ وَأَكْرَمَ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنْ أَنْبِيائِكَ عَنْ أُمَّتِهِ».[٢]

وفي دعائـه عند ختمه القرآن يقول عليه السلام: «اللَّهُمَّ، صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا بَلَّغَ رِسَالَتَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ، وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ.

اللَّهُمَّ، اجْعَلْ نَبِيَّنَا صَـلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِسًا، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفَاعَةً، وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْرًا، وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهًا.

اللَّهُمَّ، صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَشَـرِّفْ بُنْيَانَـهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَـهُ، وَثَقِّلْ مِيزَانَـهُ، وَتَقَبَّـلْ شَـفَاعَتَهُ، وَقَرِّبْ وَسِـيلَتَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَتِمَّ نُـورَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَأَحْيِنَا عَلَى سُـنَّتِهِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَخُذْ بِنَـا مِنْهَاجَهُ، وَاسْـلُكْ بِنَا سَبِيلَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ.

اللَّهُمَّ، وَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَـلاةً تُبَلِّغُهُ بِهَا أَفْضَـلَ مَا يَأْمُـلُ مِنْ خَيْرِكَ، وَفَضْلِكَ، وَكَرَامَتِكَ، إِنَّكَ ذُوْ رَحْمَة وَاسِعَة، وَفَضْل كَرِيم.

اللَّهُمَّ، أَجْزِهِ بِمَا بَلَّغَ مِنْ رِسَـالاتِكَ، وَأَدَّى مِنْ آيَاتِكَ، وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ، وَجَاهَدَ

١- المصدر السابق، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩٦.

٢- المصدر السابق، من دعائه عند الصباح والمساء، ص٥٨.

فِي سَبِيلِكَ أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنْ مَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ.

وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه».[١]

وهنا الدعوة مباشرة للاقتداء بمحمّد صلى الله عليه وآله من خلال قوله عليه السلام: «وَأَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَخُذْ بِنَا مِنْهَاجَهُ، وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ»، وإن كانت في الفقرة السابقة التي ذكرناها والتي تبدأ بقوله: «اللّهمَّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ ...» لم تكن الدعوة إلى الاقتداء بالنبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة، وإنما تستفاد من خلال عبارات الدعاء والتفكّر فيها.

كثرة الصلاة على محمّدٍ وآله صلى الله عليه وآله

قرأتُ في دعاء الإمام السجاد عليه السلام عبارات يبذل فيها الإمام عليه السلام جهده بالعديد من العبارات التي يعبّر فيها بالعديد من التعبيرات عن كثرة الصلاة على محمد وآله، فأتركك - عزيزي القارئ - معه؛ لتعيش هذه الأجواء المفعمة بالصلاة على محمدٍ وآله، حيث يقول: «رَبِّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد الْمُنْتَجَبِ، الْمُصْطَفَى، الْمُكَرَّمِ، الْمُقَرَّبِ، أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ، وَبارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ، وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعَ رَحَمَاتِكَ.

١- المصدر السابق، من دعائه عند ختمه القرآن، ص١٨١.

رَبِّ، صَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، صَـلاَةً زَاكِيَةً، لاَ تَكُونُ صَـلاَةٌ أَزْكَى مِنْهَا، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَـلاَةً نَامِيَةً، لاَ تَكُونُ صَـلاَةٌ أَنْمَى مِنْهَا، وَصَـلِّ عَلَيْهِ صَـلاَةً رَاضِيَةً، لاَ تَكُونُ صَلاَةٌ فَوْقَهَا.

رَبِّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، صَلاَةً تُرْضِيهِ، وَتَزِيدُ عَلَى رِضَاهُ.
وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً تُرْضِيكَ، وَتَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ لَهُ.
وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً لاَ تَرْضَى لَهُ إِلَّا بِهَا، وَلاَ تَرى غَيْرَهُ لَهَا أَهْلًا.
رَبِّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، صَلاَةً تُجَاوِزُ رِضْوَانَكَ، وَيَتَّصِلُ اتِّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، وَلاَ يَنْفَدُ كَمَا لاَ تَنْفَدُ كَلِماتُكَ.

رَبِّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاَةً تَنْتَظِمُ صَلَوَاتُ مَلائِكَتِكَ، وَأَنْبِيآئِكَ، وَرُسُلِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جِنِّكَ، وَإِنْسِكَ، وَأَهْلِ إِجَابَتِكَ، وَتَجْتَمِعُ عَلَى صَلاَةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِكَ.

رَبِّ، صَـلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَـلاَةً تُحِيطُ بِكُلِّ صَـلاَة سَالِفَة وَمُسْـتَأْنَفَة، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ صَـلاَةً مَرْضِـيَّةً لَكَ وَلِمَنْ دُونَكَ، وَتُنْشِـئُ مَعَ ذَلِكَ صَلَوَات تُضَاعِفُ مَعَهَا تِلْكَ الصَّـلَوَاتِ عِنْدَهَا، وَتَزِيدُهَا عَلَى كُرُورِ الأَيَّامِ زِيَادَةً فِي تَضَاعِيفَ لا يَعُدُّهَا غَيْرُكَ.

رَبِّ، صَـلِّ عَلَـى أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِـهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُـمْ لأَمْـرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِيْنِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ

مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيرًا بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ.

رَبِّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ نِحَلِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الأَشْيَاءَ مِنْ عَطَايَاكَ وَنَوَافِلِكَ، وَتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وَفَوائِدِك.

رَبِّ، صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلاَةً لاَ أَمَدَ فِيْ أَوَّلِهَا، وَلاَ غَايَةَ لأَمَدِهَا، وَلاَ نِهَايَةَ لآخِرِهَا.

رَبِّ، صَلِّ عَلَيْهِمْ زِنَةَ عَرْشِكَ وَمَا دُونَهُ، وَمِلءَ سَمواتِكَ وَمَا فَوْقَهُنَّ، وَعَدَدَ أَرَضِيْكَ، وَمَا تَحْتَهُنَّ، وَمَا بَيْنَهُنَّ، صَلاَةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفى، وَتَكُونُ لَكَ وَلَهُمْ رِضًى، وَمُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَدًا».[١]

أما الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيقول: «اللَّهمَّ، صلِّ على محمدٍ عبدِكَ، ورسولِكَ، وأمينِكَ، وصفيّكَ، وخيرتِكَ من خلقِكَ، وحافظ سرِّكَ، ومبلِّغ رسالاتِكَ أفضلَ، وأحسنَ، وأجملَ، وأكملَ، وأزكى، وأنمى، وأطيبَ، وأطهرَ، وأسنى، وأكثرَ ما صلّيتَ، وسلّمت، وباركتَ، وترحّمتَ، وتحنَّنتَ، وسلّمتَ على أحد من عبادكَ، وأنبيائك، ورُسُلِك، وصفوتِكَ، وأهل الكرامةِ عليك من خلقك».[٢]

فقد كرَّر عجل الله تعالى فرجه الشريف لفظ (أفعل التفضيل) عشر مرات، ولكل كلمة دلالة تختلف

١- الصحيفة السجادية، دعاء عرفة، ص٢١٢.

٢- مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص٢٣٣.

عـن دلالة الـكـلـمة الأخـرى، وذلـك بأسـلوب يرسـخ عظمـة هذا النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله في نفس الداعي، ثم أردف خمسـة أفعال بعد قوله (صلّيت)، وهذه دلالة أخرى على ما ذكرنا، ثم يسترسـل الإمام عليه السلام في الصـلاة على باقي الأئمّة عليهم السلام.

اقتران الصلاة بطلب الشفاعة

يقـول الإمـام زين العابديـن عليه السلام: «وَبِمُحَمَّد الْمُصْـطَفى صلى الله عليه وآله أَسْتَشْـفِعُ لَدَيْـكَ»[١]، والنبـيّ العظيـم صلى الله عليه وآله الـذي يصـفه الله تعالى بقولـه: ﴿لَقَدْ جَاءكُـمْ رَسُـولٌ مِّنْ أَنفُسِـكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَـا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُـم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، يُسـرُّ بدخولنا الجنة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعـاء أبي حمزة الثمالي: «إلهي، إن أدخلتني النار ففي ذلك سـرور عدوك، وإن أدخلتنـي الجنّة ففي ذلك سـرور نبيِّك، وأنا أعلمُ أنَّ سـرور نبيِّكَ أحبُّ إليك من سرور عدوّك».[٣]

وفي نهايـة المقـال لا تنسَ عزيزي القارئ، الصـلاة على محمّـد وآل محمّد، وحسـنًا فعل أحد أعزّائنا حين سمَّى ابنته (صلوات)، لأنه كلما ناداها صلّى على محمد وآله، أو صـلّى الآخرون، أعتقـد أنه يمتلك عقلًا تجاريًّا كبيرًا في تجارة الحسنات.

١- الصحيفة السجادية، دعاء يوم الخميس، ص٢٨٨.

٢- سورة التوبة: ١٢٨.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٥٠.

حقيقة السَّعادة

شخص واحد في السرّ والعلانية

في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام: «اللهمَّ، اجعلني أخشاكَ كأنَّني أراكَ، وأسعدني بتقواكَ، ولا تشقني بمعصيتك».[١]

ينبغي على الإنسان أن يعمل على أن تكون سريرته كعلانيته، وهذا الأمر من الأمور الصعبة التي تحتاج إلى جهادٍ كبير، وإذا كان كذلك فسيكون شخصية واحدة إذا كان لوحده في خلوته، أو إذا كان مع الناس من حيث السلوك والعلاقة مع الله تعالى، فهذا الشخص كما يمتنع عن المعصية أمام أعين الناس يمتنع عنها أيضًا إذا كان لوحده وبعيدًا عن الرقابة الاجتماعية؛ لأنه يستشعر الرقابة الإلهية، بل يشعر أنها أهم وأعظم من الرقابة الاجتماعية. والذي يُوفّق لهذه الصفة الحميدة، ويحقّق مفهوم الدعاء: «اللهمَّ، اجعلني أخشاكَ كأنَّني أراكَ» يشعر بحالةٍ نفسيةٍ مريحةٍ وهادئةٍ ومطمئنةٍ، بعكس الذي يُخفي ذنوبه عن أعين الناس، فهذا الإخفاء قد لا يطول كثيرًا، وقد تفوح رائحته.

وكم ترك المجرم من بصمات العار التي وصم بها جبينه، وهو يحسب أنه

١- مفاتيح الجنان، دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، ص٣٣١.

لـن يطّلع عليها أحد، فينكشـف من حيث لا يحتسـب، والنـاس لا ترحم من كُشِـفَ غطاؤُهُ، فتنهار شخصـيته، وقد يتمكّن الشـيطان من هـذا الباب أن يسـقطه اجتماعيًّا، ويبعده عن الالتزام بشكل كلّي، وهذا ناتج من ازدواج في شخصيته؛ فهو فاسق إذا كان لوحده، ومؤمن إذا كان مع الناس.

عمل الصالحات سرًّا

إذا كان الإنسـان في خلوتـه عابـدًا متضـرّعًا بعيدًا عن أعين النـاس، أو أنه تصـدَّق علـى الفقراء سـرًّا، فلو انكشـف أمـره، فإنما ينكشـف عن الخير والطاعـة والعبـادة، وهناك إشـارات إلى أن الإنسـان إذا عمـل على إخفاء أعماله الصالحة، فإن الله يكشف مقامه للناس ولو بعد حين.

وقد نقل لي أحد أصدقائي عن شخص يعرفه يقول: إنه لم يكن يتوقّع منه أنه يواظب على صـلاة الليل، ولكنَّ ولده سـأله: «هل توجد صلاة تصلى السَّاعة الواحدة ليلًا»؟

فقال له: «ولِمَ هذا السؤال»؟

فقال: «لأنني أرى والدي يصلّي في هذا الوقت»!

فالله سبحانه قد كشف هذا العمل الصالح الذي يقوم به هذا الشخص، مع أنه لم يسعَ في كشفه، وفي الواقع أنَّ كشف العمل الصالح للناس لا يمثل أمرًا يستحق الاهتمام بعد أن رضي الله عن الإنسان، ورضوان من الله أكبر.

التقوى ترسّخ الاطمئنان

أمـا قوله عليه السلام: «وأسـعدني بتقـواك»، فمن وجوه ذلـك أنَّ التقوى هي التي توفّر للإنسـان الاطمئنان النفسـي؛ لأنهـا تمنعه من ارتكاب المعاصـي، وما الـذي يجعل الإنسـان يعيش القلق، والاضـطراب، والشـقاء غير المعاصـي، فالقاتل بغير حقّ كيف يعيش لحظة سعيدة؟

وقد قرأت أنَّ شخصًـا ارتكب جريمة قتل، ولم يُكتشـف، ثم سـلَّم نفسَهُ بعد ثلاثين سنة، فلما سئل عن ذلك قال: إنَّني كنت أتعذّب طيلة هذه الفترة، وأنا أسلم نفسي؛ لكي يُنفذ فيَّ حكمُ الإعدام وأرتاح!

وهـذا لا يقتصـر على ذنـب القتل، بل يشـمل ذنب عقوق الوالديـن والغِيبة، والسَّرقة، وغيرها، لا سيما الذنوب المتعلّقة بحقوق العباد.

عندما تنكشف السَّعادة المزيّفة

السـعادة المبنيّـة علـى التقوى هي السـعادة الحقيقيـة، أما سـعادة الغناء، والفجور، والرقص، فهي سـعادة مزيّفة، ولمَّا ينكشـف الغطـاء يتبيّن أنها لم تكن سعادةً وإنما كانت شقاءً.

مسـكين ذلك الذي يتجرّع جرعة المخدِرات، وهو يظنّ أنه يطير في السـماء من الفَرح، فلما ينكشـف الغطاء في الدنيا يجد نفسه وقد انهارت، واضمحل جسمه، وذبلت وروده، وتكالبت عليه الأمراض، ورفضه المجتمع.

فأيّ سعادة مزيّفة هذه؟

هذا في الدنيا.

أمَّا في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١]، وذلك لأنَّه من الذين: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.[٢]

السعيد الحقيقي

المتّقي حتى لو كان معذَّبًا مشرّدًا مسجونًا منبوذًا فهو السعيد الحقيقي؛ لأنه سيكون سعيدًا يوم يُقسم الناس يوم القيامة: ﴿... فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[٣]؛ لأنه سيكون من هؤلاء: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.[٤]

والأيام تمضي بسرعة، وتنخر في حياة الإنسان، وما أجمل كلام الإمام الكاظم عليه السلام عندما كان في السجن حيث خاطب هارون الرشيد قائلًا: «إنَّه لن ينقضي عنّي يومٌ من البلاء إلاَّ انقضى عنك معه يومٌ من الرَّخاء، حتى نفضي جميعًا إلى يومٍ ليس له انقضاء، يخسر فيه المُبطلون»[٥].

١- سورة ق: ٢٢.

٢- سورة الروم: ٧.

٣- سورة هود: ١٠٥.

٤- سورة هود: ١٠٨.

٥- تاريخ بغداد ١٥/١٩.

إذًا، النعيم الزائف سرعان ما سينقضي، والبلاء في السجن سرعان ما سينقضي، والعاقبة للمتقين.

المعصية شقاء

«ولا تشقني بمعصيتك»، وقد تفتح هذه المعصية أبوابًا وأبوابًا قد يتعسّر على الإنسان غلقها، فكلما دخل في معصية أدخلته هذه المعصية في معصيةٍ أخرى، فيجد نفسه في دوامة من المعاصي، فالزنا قد تكون بدايته نظرة محرّمة، والإدمان على الخمر والمخدِرات قد تكون بدايته جرعة قليلة، أو تجربة عبثية.

اقتران السَّعادة بذِكر الله وطاعته

من مصاديق السعادة أن يحمد الإنسان ربّه على نعمه؛ لأنَّ هذا الحمد والشُّكر يقتضي زيادة النِّعم ومضاعفتها، والإنسان يسعد بزيادة النِّعم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]، والإمام زين العابدين عليه السلام يقول في دعائه في التَّحميد: «حمدًا نسعدُ بهِ في السعداءِ من أوليائِه».[٢]

١- سورة إبراهيم: ٧.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه في التحميد، ص٣٨.

فالإمـام عليه السلام يعلّمنا الحرص على أن لا تفوتنا سـعادة ذِكر الله المتمثّلة في الحمد.

السَّعادة في الرغبة إلى الله سبحانه

من السـعادة الرغبة إلى الله سـبحانه، والتوجّه إليه، والابتعاد عما يصرف عنه، وهذا ما يشير إليه الإمام السجّاد عليه السلام: «فالهالكُ منَّا من هلَكَ عليه، والسعيدُ منَّا من رَغِبَ إليه».[١]

وهذه النصـوص كلها تشـير إلى هذا النوع من السـعادة، وهناك نصٌّ آخر يدعونا إلى فتح أعيننا القلبية؛ لنبصر السعادة الحقيقية، ولا نفرح بالدنيا، ونغـترّ بها، فيقول الإمام السـجّاد عليه السلام في دعائـه إذا أحزنه أمر: «حتى لا أفرحَ بما آتيتني من الدُنيا، ولا أحزنَ بما منعتني».[٢]

فعجيبٌ أمـر الإنسـان الذي يفرح ويضـحك وهو لا يدري هل الله راضٍ عنه أم لا؟

ولا يحقّ لأحدٍ أن يفرح إلا بعد أن يتيقّن أنه قد استظلّ بظلّ رحمة الله تعالى، وهـذا القلق يجعل الإنسـان يلحّ على الله في الدعاء بأن يجعله مع السـعداء، حتـى لـو كان مكتوبًـا في أمِّ الكتاب مع الأشـقياء، وذلك عـن طريق البداء،

١- الصحيفة السجادية، من دعائه في التحميد، ص٣٧.
٢- المصدر السابق، من دعائه إذا أحزنه أمر، ص١٠٧.

يقول الإمام الصـادق عليه السلام: «وإنْ كنتُ عندك في أمِّ الكتابِ شقيًّا، فاجعلني سعيدًا، فإنَّك تمحو ما تشاء، وتثبتُ، وعندكَ أمُّ الكتاب».[١]

ويقول الإمام السجّاد عليه السلام: «يا من سَعدَ برحمتِهِ القاصِدُون».[٢]

وكذلك قرن الإمام السـجّاد عليه السلام بين العبادة والسـعادة في دعائه إذا نظر للهلال قائلًا: «وأسْعِدْ مَنْ تعبَّدَ لكَ فيه».[٣]

السَّعادة في حسن الخاتمة

حسن الخاتمة من الأمور التي تقلق الإنسان؛ لأنها من الأمور المجهولة؛ حيث إن الإنسان لا يدري ماذا يكسب غدًا، وبأيّ أرض يموت، وعلى أيّ هيئة يموت؟ هل يموت ساجدًا في المسجد، أو مجاهدًا في الحرب، أو مجاهدًا في الكدّ على العيال، أم يموت بجرعة مخدِرات، أو نائمًا على صدر فاسقة تحرم عليه؟ كيف ستكون نهايتي ونهايتك؟

لا أدري ولا تـدري، وطبيعـة الإنسـان أنـه يخاف من المجهـول، وهذه علامة الاسـتفهام المتمثّلة بهذا المجهول في معرفة حسن الخاتمة تلعب دورًا خطيرًا ينبغـي عليَّ وعليـك أن نراعيه بحيث تكون كلُّ أعمالنا حسـنة؛ لأننا لا ندري متى سنموت، فإذا فعلنا فعلًا سيّئًا لا نملك ضمانًا أنه لن يكون آخر أفعالنا.

١- مفاتيح الجنان، كتاب الباقيات الصالحات، أذكار وأدعية الصباح والمساء، ص٧٠٣.

٢- الصحيفة السجادية، مناجاة الراجين، ص٣٠٢.

٣- المصدر السابق، من دعائه إذا نظر للهلال، ص١٨٤.

والمخيف في هذا الأمر أننا نرى العديد من عمالقة التاريخ الذين وصلوا إلى درجات عالية جدًّا سقطوا في موقف ضعف، وتهاوت أمجادهم في لحظات، فإذا كان بلعم بن باعورا الذي عرف الاسم الأعظم ضعف وتهاوت أمجاده، وصارت سرابًا!!

فما الذي يضمن لي ولك أن لا نقع فيما وقع هؤلاء فيه؟

من هنا نجد تركيزًا شديدًا على مسألة حسن الخاتمة، وبيان ارتباط حسن الخاتمة بالسعادة، فكم يسعد ذلك الإنسان الذي يشعر بالراحة عند الموت والعفو عند الحساب؟!، يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «واجعل ختام ما تحصي علينا كتبةُ أعمالنا توبة مقبولة لا توقفنا بعدها على ذنبٍ اجترحناهُ، ولا على مَعصِيةٍ ارتكبناها».[١]

ويقول الإمام السجاد عليه السلام: «وبلِّغني مبالغَ مَن عُنيتَ بهِ، وأنعمتَ عليهِ، ورَضيتَ عنه، فأعَشْتَهُ حميدًا، وتوفّيتهُ سعيدًا».[٢]

وهذه السعادة درجات؛ فهناك مَن يحظى بدرجة الشهادة في سبيل الله التي قرنها الإمام السجّاد عليه السلام بالسعادة متكلّمًا عن المجاهد الغازي في سبيل الله، «فإن ختمتَ له بالسعادة، وقضيتَ له بالشهادة»[٣]، وهي سعادة لا يمكن أن يعرفها كل الناس إلا من هداه الله.

١- المصدر السابق، من دعائه بخواتم الخير، ص٦٨.

٢- المصدر السابق، دعاء عرفة، ص٢٢١.

٣- المصدر السابق، من دعائه لأهل الثغور، ص١٣١.

السعادة في الإحسان للجيران

السعادة مقترنة بكل أمر حسن، ومن ذلك الإحسان للجيران، وإذا ألقينا نظرة على دعاء الإمام السجّاد عليه السلام لجيرانه نجد أنه عليه السلام يطلب من الله أن يوفّقه؛ لأداء حق جيرانه، ومساعدتهم في الشدائد، ويطلب من الله أن يكون جيرانه يبادلونه هذه الصفات الحسنة، فيقول عليه السلام: «حتى يسعدوا بي وأسعدُ بهم».[١]

ومن سعادة الإنسان أن يكون جاره طيّبًا، فلو أن الإنسان عاش في قصرٍ جميلٍ وفيه كل متطلّبات الحياة، وله جار خبيث، فإنَّ هذا الجار ينكد عليه حياته، وربما همَّ ببيع بيته لسوء أخلاق جاره.

فهذه إضاءة في السعادة الاجتماعية التي ينبغي على الإنسان أن يعمل على تحقيقها مع جيرانه، كما يتمنّى أن جيرانه يكونون كذلك.

السعادة مع الحور العين

وأختم بهذه الطريفة حيث إن أحد المستمعين كان يستمع إلى دعاء شهر رمضان الذي يُقرأ عادة بعد دعاء الافتتاح: «اللَّهمَّ، برحمتك في الصالحين فأدخلنا، وفي عليّين فارفعنا، وبكأس من معين من عينٍ سلسبيل فاستقنا»[٢]، وكان متّكئًا ناعسًا، وغير متفاعل مع كل فقرات الدعاء، فلما وصل القارئ

١- الصحيفة السجادية، من دعائه لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم، ص١٢٦.

٢- مفاتيح الجنان، أعمال شهر رمضان، ص٢٣٥.

إلى هـذه الفقرة: «ومن الحـور العين برحمتك فزوّجنا»[١] اعتدل صـاحبنا، ورفع يديه، ونادى بأعلى صوته: (يا الله).

فهل يمكن لمثل هذا أن يعرف باقي أنواع السـعادة التي اعتقد أنها مقتصـرة على الحور العين؟

١- المصدر السابق.

المستقبل الأخرويُّ للأسرة

موقف رهيب

يقـف الابن رافعًا يديه، ويخاطب ربّه يوم القيامة قائلًا: (ربِّ، انتقم لي من هذا الظالم)، والظالم المقصود في قوله هو أبوه!!

فيقول أبوه: ألم أطعمك أحسن الطعام، وأسكنك في أفضل المساكن، وألبسك أحسن الثياب، وأدّرسك في أحسن الجامعات وأغلاها؟

فيقول الابن: نعم، ولكنك لم ترشدني إلى تعاليم ديني.

الروابط الأسرية في دعاء أهل البيت عليهم السلام

تحظـى الروابط الأسـرية بعناية كبيرة في أدعية أهـل البيت عليهم السلام، فهناك دعـاء رائع للإمـام زين العابدين عليه السلام في الصـحيفة السـجادية لوالديه، وكذلك دعاء آخر لأولاده، يرسم فيهما الكثير من الآداب والتعاليم الأخلاقية النبيلة، وهذه الروابط لها أبعاد في الدنيا، ولها أبعاد في الآخرة.

تحقّق الرابطة الأسرية في الدنيا وفي الآخرة

إذا تعرّضت الأسرة في الدنيا لنكبات كأن يكون الوالد مهجَّرًا أو نازحًا والأولاد

في بلد آخر، فإن مصير الأسرة يكون مأساويًّا، ولا يطيق أفراد الأسرة هذا الحال أبدًا، ولكن هذا الأمر يهون عندما نفكّر في التشتّت الأسري الأخروي. فإذا كان الوالد، وبعض الأولاد في النار، والوالدة وبعض الأولاد الآخرين في الجنّة، فكيف سيكون حال هذه الأسرة؟

فإذا كان الأب كافرًا أو فاسقًا فمن الطبيعي أن يكون في النار، وهذا العذاب يشير إليه دعاء كميل: «فلئن صيّرتني للعقوبات مع أعدائك، وجمعت بيني وبين أهل بلائك، وفرقت بيني وبين أحبّائك وأوليائك».[١]

فإذا كان من المهم لمُّ شمل الأسرة على المستوى الدنيوي، فالأمر في أقصى غايات الأهمية في لمِّ شمل الأسرة الأخروي، بحيث تكون الأسرة جميعها في الجنّة، ولا يكون بعض أفرادها في النار.

فهل من متفكّر في مستقبل الأسرة الأخروي؟!

ضع أسرتك نصب عينك

ورد في الدعاء القرآني: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.[٢]

ويحذّر الإنسان على نفسه، وعلى عائلته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.

٢- سورة الفرقان: ٧٤.

قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[١]

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاجْعَلْ آباءَنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَوْلادَنَا، وَأَهَالِينَا، وَذَوِي أَرْحَامِنَا، وَقَرَابَاتِنَا، وَجِيرَانَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُ فِي حِرْز حَارِز، وَحِصْن حَافِظ، وَكَهْف مَانِع، وَأَلْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَنًا وَاقِيَةً، وَأَعْطِهِمْ عَلَيْهِ أَسْلِحَةً مَاضِيَةً».[٢]

دعاء يشعر الإنسان بمسؤوليته تجاه أهله، فمحاربة الشيطان يجب أن تشمل الأسرة بالدرجة الأولى، ثم الأجواء المحيطة.

وهذا الأمر من أهم الأمور التي تحافظ على مستقبل الأسرة الأخروي.

الدين مقدّم على الرابطة الأسرية

مع أهمية الرابطة الأسرية في الدنيا إلا أننا ينبغي أن نجعلها شيئًا ثانويًّا إذا تعلّق الأمر بنصرة الدين، فينبغي على المجاهدين التضحية بفراق الأهل والأولاد؛ من أجل نصرة دين الله، بل يصل الأمر إلى أشدّ من هذا كما في دعاء زين العابدين عليه السلام متكلّمًا عن أتباع الرسل ومصدّقيهم، حيث يقول «وَفَارَقُوا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا

١- سورة التحريم: ٦.

٢- الصحيفة السجادية، من دعائه إذا ذكر الشيطان فاستعاذ منه، ص٩٠.

الآباءَ والأبناءَ في تَثْبيتِ نبُوَّتِه».[١]

النظر بعين عوراء لمستقبل الأسرة

ما نعانيه هو أن الناس ينظرون إلى مستقبل الأسرة من جهة واحدة وهي الجهة الدنيوية، أما الجهة الأخروية فإنها مهملة، وهذا ما يعالجه الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لولده: «وَأَصِحَّ لي أَبْدَانَهُمْ، وَأَدْيَانَهُمْ، وَأَخْلاَقَهُمْ، وَعَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي جَوَارِحِهِمْ».[٢]

فالتفكير في سلامة الدين والأخلاق يجب أن لا يقلّ عن التفكير في سلامة البدن الطبّية، وسلامة الروح يجب أن لا تقلّ أهمية عن سلامة الجوارح، ويجب أن تتكامل الجوارح مع الجوانح (القوى الروحية) في ضمان المستقبل الأخروي، ففي دعاء كميل: «قوِّ على خدمتك جوارحي، واشدد على العزيمة جوانحي».[٣]

١- المصدر السابق، من دعائه في الصلاة على أتباع الرسل ومتّبعيهم، ص٤٨.

٢- المصدر السابق، من دعائه لأولاده، ص١٢١.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص١٠٠.

السُّجود

السُّجود في القرآن وفي ختام الأدعية

السجود حالة من حالات القرب إلى الله تعالى، ففي سورة العلق الآية (١٩) أمر من الله بالسجود والاقتراب، - ولم أذكر الآية؛ لأنها من آيات السجدة الواجبة -، وكذلك هناك آيات إذا قرأها الإنسان يجب عليه السجود، وأخرى يستحبّ له السجود.

وبما أن القرب من أهم الأشياء المطلوبة في الدعاء، نرى أن بعض الأدعية كدعاء الصباح للإمام علي عليه السلام يختم بدعاء في حالة السجود، كما ورد السجود عقب دعاء الجوشن الصغير، وكذلك دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في طلب الحوائج المذكور في الصحيفة السجادية.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يقرأ دعائه في التسبيح وهو ساجد، وقد ورد ذلك في ذيل الدعاء المذكور في الصحيفة.

صحيح أن السجود هيئة بدنية ظاهرية إلا أنّ لها العديد من الإيحاءات الروحية والنفسية على الساجد، ومن هذه الإيحاءات الخضوع، والتذلّل، والخشوع، والتسليم، والفقر، والحاجة إلى الله تعالى.

السجود يقي من عذاب النار

المستفاد من الأدعية والروايات أن السجود يقي الإنسان من عذاب النار، ففي خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان يقول صلى الله عليه وآله: «واعلموا أنَّ الله أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين».[١]

وورد في مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي، هَلْ تُسَوِّدُ وُجُوهٌ خَرَّتْ ساجِدَةً لِعَظَمَتِكَ»؟[٢]

وفي دعاء كميل للإمام علي عليه السلام: «وليت شعري يا سيّدي وإلهي ومولاي أتسلّط النارعلى وجوه خرّت لعظمتك ساجدة»؟[٣]

وفي دعاء السحر: «يا الله يا كريم، لا تحرق وجهي بالنار بعد سجودي لك وتعفيري بغير منٍّ مني عليك».[٤]

وكما أن السجود يقي من عذاب النار، فإن رفض السجود والاستكبار على الله يوجب الهلاك، وكلّنا يعلم ما أصاب إبليس عندما عصى الله ورفض السجود لآدم، فقد طرد من رحمة الله، واستحقّ لعنة الله وغضبه.

١- مفاتيح الجنان، خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان، ص٢٢٥.
٢- الصحيفة السجادية، مناجاة الخائفين، ص٢٩٨.
٣- مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص٩٨.
٤- المصدر السابق، دعاء السحر (يا عدّتي في كربتي)، ص٢٥٣.

السجود من أبواب غفران الذنوب

قال النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبته في استقبال شهر رمضان: «أيّها الناس، إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم، ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّفوا عنها بطول سجودكم».[١]

اقتران السجود بالشكر

من المعروف أنه يستحبّ سجود الشكر بعد الصلاة، ويمكن للإنسان أن يشكر في غير حال السجود، إلا أن الشكر في حال السجود على نِعم الله، أو لدفع بلاء ما يكون ذا طابع خاص.

ويتعدّد سجود الشكر لتعدّد النِّعم، فكل نعمة ينبغي أن يكون لها سجود شكر، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفرٍ يسير على ناقةٍ إذا نزل، فسجد خمس سجدات، فلمّا ركب، قالوا: يا رسول الله، ... رأيناك صنعت شيئًا لم تصنعه؟

فقال: نعم، استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشّرني ببشارات من الله عزّ وجلّ، فسجدت لله شكرًا لكلّ بشرى سجدة».[٢]

١- مفاتيح الجنان، خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان، ص٢٢٥.

٢- أصول الكافي ٢/٩٨.

ومن أراد أن يتوسّع يراجع كتاب الباقيات الصالحات الملحق بكتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.[١]

فوائد سجدة الشكر

لا أستطيع أن أضيف من فوائد سجدة الشكر على ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم تُتمُّ بها صلاتك، وتُرضي بها ربّك، وتعجب الملائكة منك، وإنّ العبد إذا صلّى ثم سجد سجدة الشكر فتح الربّ تعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة، فيقول: يا ملائكتي، انظروا إلى عبدي أدّى فرضي، وأتمَّ عهدي، ثم سجد لي شكرًا على ما أنعمت به عليه.

ملائكتي، ماذا له؟

فتقول الملائكة: يا ربّنا رحمتك!

ثم يقول الربّ تبارك وتعالى: ثم ماذا له؟

فتقول الملائكة: يا ربنا جنّتك!

فيقول الرب تبارك وتعالى: ثم ماذا؟

فتقول الملائكة: يا ربّنا كفاية مهمّة!

فيقول الربّ تبارك وتعالى: ثم ماذا؟

قال: فلا يبقى شيئ من الخير إلَّا قالته الملائكة.

١- مفاتيح الجنان، كتاب الباقيات الصالحات، كيفية سجدة الشكر ودعواتها، ص٦٨٦.

فيقول الله تبارك وتعالى: يا ملائكتي، ثم ماذا له؟!

فتقول الملائكة: يا ربّنا! لا علم لنا.

قال: فيقول الله تبارك وتعالى: أشكر له كما شكر لي، وأقبل إليه بفضلي، وأُريه وجهي».[١]

سجود الظواهر الطبيعية

بعض الأدعية تعبّر عن سجود الظواهر الطبيعية لله تعالى كما ورد في دعاء الوارد في هذا الدعاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنت الذي سجد لك سواد الليل، ونور النهار، وضوء القمر، وشعاع الشمس، ودوي الماء وحفيف الشجر».[٢]

فإذا كان كل الكون خاضعًا لله، فمن القبيح على الإنسان أن يستكبر عن السجود، ويكون شاذًّا بين كل هذه المخلوقات.

السجود والاعتراف

كان الإمام الصادق عليه السلام يقول في سجوده: «سجد وجهي البالي لوجهك الباقي الدائم العظيم، سجد وجهي الذليل لوجهك العزيز، سجد وجهي الفقير لوجه ربّي الغني الكريم العليّ العظيم».[٣]

١- كتاب من لا يحضره الفقيه ١/٣٣٣. (وأُريه وجهي): طبعًا ليس المقصود به الوجه الظاهري؛ لأن الله ليس بجسم.

٢- مفاتيح الجنان، أعمال اليوم الأول من شهر محرم، ص٣٥٤.

٣- فروع الكافي ٣/٣٢٧.

وكان الإمـام زيـن العابدين عليه السلام يقول عند فراغه من صـلاته في سـجدة الشكر: «يا كريم، مسكينك بفنائك.

يا كريم، فقيرك زائرك، حقيرك ببابك يا كريم».[١]

سجود التذلّل يوجب علو الدرجات

عن الإمام الصـادق عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى موسـى بن عمران عليه السلام: أتدري يا موسى، لِمَ انتجبتك من خلقي، واصطفيتك لكلامي؟

فقال: لا يا ربّ!

فـأوحى الله إليه: أنّي اطّلعت إلى الأرض، فـلم أجـد عليها أشـدَّ تواضعًا لي منك، فخرَّ موسـى عليه السلام سـاجدًا، وعفّر خدّيه في التراب تـذلّلًا مـنه لربّه عزّ وجلّ.

فأوحى الله إليه: ارفع رأسـك يا موسـى، وأمرر يدك في موضـع سـجودك، وامسـح بها وجهك وما نالتـه من بدنك، فإنّه أمانٌ من كلّ سـقمٍ وداءٍ، وآفةٍ وعاهةٍ».[٢]

١- دلائل الإمامة ص٥٣٩.

٢- أمالي الطوسي ص١٣٦.

الأمان في مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام

الأمان من أهم الأمور المتعلّقة بالحالة النفسية عند الإنسان بصورة عامة، ومع فقدان الأمان تتحوّل حياة الإنسان إلى صفحة سوداء مظلمة حالكة يسيطر عليها القلق والاضطراب والخوف والترقّب لصفعات المصائب ولطمات الأهوال.

مع فقدان الأمان لا يمكن للإنسان أن يتمتّع بألذّ ملذات الدنيا!

والكثير منّا يبحث عن الأمان في هذه الدنيا، وقد يدعوه هذا البحث إلى هجران الأوطان، ومفارقة الأحباب والأهل والأصدقاء.

الكل يبحث عن الأمان، والإمام علي عليه السلام في مناجاته في مسجد الكوفة يستشهد بالعديد من آيات القرآن التي تؤكّد هول يوم القيامة، وحاجة الإنسان إلى الأمان في ذلك اليوم.

الإمام علي عليه السلام ذلك الشجاع البطل نراه يخرّ خاضعًا، وينتفض خوفًا كالسعفة التي تلعب بها الريح أمام عظمة الله تعالى، ويخاطب الإنسان الذي يعتبر الأمان من أشدّ حاجاته في حياته الدنيا، فيذكّره بحاجته للأمان في يوم القيامة.

ومشكلة الكثيرين منّا أن تفكيرهم عاجز عن اختراق الزمن، فيفكّر في اللحظة التي يعيش فيها الآن، ولا يفكّر في مستقبله الأخروي، يبحث عن الأمان في لحظته، وينساها في لحظة مصيرية تفتح له بابًا للخلود في الجنة أو العذاب في النار.

ومن هنا، فإن كلمات الإمام النورانية تنير للإنسان دربه، وتنير تفكيره؛ ليقف أمام لحظة ستأتيه حتمًا، ويريد الإمام لنا أن نسأل أنفسنا سؤالًا عظيمًا، وهو: كيف سيكون موقفي في ذلك اليوم؟

هل أعددت متطلّبات الأمان من القلب السليم، والالتزام بنهج الرسول العظيم؟

وهل أنا على صلة بربّي الذي يستطيع - ولا يستطيع غيره - أن ينجيني من خوف ذلك اليوم؟

الصلة التي ترضيه وتؤهّلني للحصول على ذلك الأمان، فلا الوالد ولا الولد ولا الأخ ولا العشيرة ولا المال ولا البنون ولا الصاحبة، ولا أي شيئ في هذه الدنيا يستطيع منح الأمان لمَن يفقده في ذلك اليوم إلا الله تعالى. وفي هذا حثّ على الانقطاع إلى الله، والتعلّق به، والاستمساك بعروته.

كما أنه في هذه الفقرة المباركة من الدعاء، ومن خلال الاستشهاد بالآيات

الكريمات يبيّن تبعات فقدان الأمان، وما الذي يعنيه هذا الأمر الخطير حيث الندم والحسرة يعتصران قلب الإنسان ألمًا لما فرّط في أمره.

وإذا كان الإنسان يخفي إجرامه في هذه الدنيا، فليس إلى ذلك سبيل في يوم القيامة يوم تبلى السرائر، فيُعرف المجرمون بسيماهم، فيُؤخذ بالنواصي والأقدام.

وإذا كان الإنسان يقدّم أعذارًا في هذه الدنيا، فتقبل فإن يوم القيامة لا تقبل معذرة الظالمين، وتنكشف الحقائق على رؤوس الأشهاد.

ونحن لا نحتمل أن يفتضح أمرنا أمام رجُلٍ واحد، فكيف أمام رؤوس الأشهاد؟ وكان الإمام علي عليه السلام يستطيع أن ينتقي من الكلمات ما يؤدّي به غرضه، ولكنه يختار بعض الآيات القرآنية التي تتحدّث عن يوم القيامة وهو يوم الفزع الأكبر؛ ليتأمّل الإنسان في هذه الآيات الكريمات.

والملفت للنظر أن الإمام علي عليه السلام - وهو سيّد البلغاء والمتكلّمين - لم يعقّب على ما ذَكَره من استشهاد بكلام الله تعالى في موضوع الأمان، وإنما انتقل إلى فقرات تدلّل على فقر الإنسان إلى الله، وكأنه يقول ما بعد هذا الكلام كلامٌ: «اللهمَّ، إنِّي أسألكَ الأمانَ يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأسألك الأمان يوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلًا، وأسألك الأمان يوم يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ

بالنواصـي والأقدام، وأسألك الأمان يوم لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولدٌ هو جازٍ عن والده شيئًا إنَّ وعد الله حق.

وأسألك الأمان يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار.

وأسألك الأمان يوم لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئًا والأمر يومئذٍ لله.

وأسـألك الأمان يوم يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلٍّ امرء منهم يومئذٍ شأن يغنيه.

وأسـألك الأمان يوم يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه وصـاحبته وأخيه وفصـيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعًـا ثم ينجيه، كلا إنّها لظى نزّاعةً للشوى».[1]

١- من مناجاة أمير المؤمنين علي عليه السلام في مسجد الكوفة، مفاتيح الجنان، ص٤٧١.

تأملات في دعاء رجب

«خـابَ الوافِدُونَ عَلى غَيْرِكَ، وَخَسِـرَ الْمُتَعَرِّضُـونَ إِلَّا لَكَ، وَضـاعَ الْمُلِمُّونَ إِلَّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُونَ إِلَّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ، بابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرّاغِبينَ، وَخَيْرُكَ مَبْـذُولٌ لِلطّالِبينَ، وَفَضْـلُكَ مُبـاحٌ لِلسّـائِلينَ، وَنَيْلُكَ مُتاحٌ للآمِلـين، وَرِزْقُكَ مَبْسُـوطٌ لِمَنْ عَصـاكَ، وَحِلْمُـكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نـاواكَ، عادَتُكَ الإحسـان إلى الْمُسيئينَ، وَسَبيلُكَ الإبقاء عَلَى الْمُعْتَدينَ.

اَللّهُـمَّ، فَأَهْدِني هُدَى الْمُهْتَدينَ، وَارْزُقْني اجْتِهادَ الْمُجْتَهِدينَ، وَلا تَجْعَلْني مِنَ الْغافِلينَ الْمُبْعَدينَ، واغْفِرْ لي يَوْمَ الدّينِ».[1]

«خـابَ الوافِدُونَ عَلى غَيْرِكَ، وَخَسِـرَ الْمُتَعَرِّضُـونَ إِلَّا لَكَ، وَضـاعَ الْمُلِمُّونَ إِلَّا بِكَ، وَاَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُونَ إِلَّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ»، وهذه الخيبة، وهذا الخسران، والضـياع، والإجداب ناتج عن رفض المعطي للسـائل، وهذا الرفض ناتج إمَّا عن عجز، وإمَّا عن بخل، وإمَّا كره للمعطى إليه، وإمَّا غير ذلك من الأسباب. الإنسان المؤمن ينبغي عليه أن يعوّد نفسه أن لا يطلب إلَّا من الله تعالى، والله ممتنع عليه البخل، والكره، وخوف المضرّة سبحانه وتعالى عن ذلك.

فلنسأل الله، لأن السؤال لغير الله مذلّة، والاعتزاز بغير الله وَهم.

١- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص١٨١.

روي أنَّ سَمَرة بن جُندب قال في آخر أيَّام حياته، وبعد أن فقد منصبه: «لعن اللهُ معاويـة، واللّه لو أطعتُ اللّه كما أطعتُ معاوية ما عذَّبني أبدًا»[1] وهناك منّا من يطيع زوجته، أو عشيقته، أو مسؤوله في العمل، أو صديقه، أو غيرهم من المخلوقات، فينبغي عليه أن يسـأل نفسـه ماذا كسـب من هذه الطاعة؟، وهل اسـتفاد شيئًا؟، وماذا يملك المطيع له؟، وهل يضمن استمرار العطاء؟، وعـدم انقلاب المعطي من حال العطـاء إلى حال المنع؟، ومن حال الحبّ إلى حال البغض؟، ومن حال الصداقة إلى العداوة؟

كل هذه الأمور غير مضـمونة، فكم سمعنا عن امرأة واجهت أهلها، وضحّت بـكل ما لديها؛ من أجل أن تتزوّج بشـخص، وما إن يمـرّ على زواجهما أيامًا معدودة حتى يطلّقها!!

وهنـاك مَن ينتحر، لأنه لم يوفّق لزواج امـرأة معيّنة، أو هي تنتحر، لأنها لم توفّـق للزواج منه، ولو وفّقا للزواج لكان من الممكن جدًّا أن يطلّقها، أو تطلب منه الطلاق!

التعلّـق بالمخلـوق وَهْـمٌ، والتعلّق بالخالق حـقٌّ، وهذا ما أرادت هـذه الفقرة المباركة أن تؤكّده.

فهـل من الممكن أن يرفض اللّه عبده بسـبب سـواد وجهـه، أو فقره، أو عدم

١- تاريخ الطبري ٥/٢٩١.

شهرته، أو غير ذلك؟

كلا، بل: «بابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرّاغِبينَ، وَخَيْرُكَ مَبْذُولٌ لِلطّالِبينَ، وَفَضْلُكَ مُباحٌ لِلسّائِلينَ، وَنَيْلُكَ مُتاحٌ لِلآمِلينَ»، ومن الطبيعي أن يجزي الله الراغبين، والطالبين، والسائلين، والآملين من عطائه خير الجزاء، وهو الكريم العظيم الذي لا تفنى خزائنه!

بل، إنَّ الله قد فتح أبوابه للعاصين، وقبل السحرة الذين تحدّوه عندما تابوا: «وَرِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصاكَ، وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ ناواكَ، عادَتُكَ الإِحْسانُ اِلَى الْمُسيئينَ، وَسَبيلُكَ الإِبْقاءُ عَلَى الْمُعْتَدينَ».

بعد أن عرفنا أن هذه هي الطريقة التي يعامل الله بها عباده، ما الذي يمنعنا من أن نتوجّه إلى ذلك الكريم، الذي سيقبلنا رغم فقرنا، وقبح وجوهنا، وقلّة علمنا، في حين أنَّ المخلوقين يصدّون عنّا، ولكننا نتزلّف إليهم بشتى الوسائل.

ومن هنا، فإننا نطلب من الله الهداية حتى نحظى بهذه المواهب الإلهية، والهداية هي الخطوة الأولى، ولا نكتفي بها رغم أهميتها.

أي: إننا ينبغي أن نسعى للتميّز، لا أرضى أن أكون مؤمنًا عاديًا، وإنما أحرص على أن أكون مؤمنًا مجتهدًا.

كمـا أن هنـاك طالبًا ناجحًا، وآخر ناجحًا بتفوّق، وهـذا الاجتهاد الدائم في استـثمار فرصـة الحياة الدنيا تحصـنّنا من الوقوع في الغفلة، فالذي يعمل بشـكل دائم ومسـتمر في الطاعة لا يقع في الغفلة، لأن الغفلة سـببها الفراغ، والارتباط بالدنيا.

والغفلـة بدورها تجعل الإنسـان بعيدًا عن الله تعالى، وعندما يوفّق الإنسـان إلى الهدايـة والاجتهاد في العمل، ويبعد عن الغفلة، والبعد عن الله، سـتكون النتيجة هي الغفران يوم الدين.

نسـأل الله تعـالى أن يرزقنا غفـران الذنوب، وأن يجعلنا مـن المجتهدين في طاعته، واجتناب معصيته.

علاقتنا بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء أهل البيت عليهم السلام

تشتمل أدعية أهل البيت عليهم السلام على المفاهيم الإسلامية الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، ومن أهم ما تتطرّق إليه أدعيتهم عليهم السلام هو البعد المتعلّق بالعقيدة، فنلاحظ التركيز الكبير على قضايا التوحيد والعبودية لله، والمعاد والنار والجنّة، والدنيا والآخرة، والموت والبرزخ، والنبوّة والإمامة.

ويهمّنا في هذا المقام أن نشير إلى موضوع إمامة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث يمثّل دعاء الندبة رابطًا بين الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وبين شيعته، فهذا الدعاء يعتبر حلقة من بين سلسلة من الأدعية منها دعاء العهد، ودعاء الافتتاح، ودعاء زمن الغَيْبَة: «اللهم، عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك.

اللهمَّ، عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك.

اللهمَّ، عرّفني حجّتك، فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني».[1]

١- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ١٠٢.

ودعـاء: «اللهـمَّ، كـن لوليّـك الحجّـة ابـن الحسـن صـلواتك عليـه وعلى آبائه...»[١]، وغيرها، هذا بالإضـافة إلى الزيارات المتعدِّدة للإمام صـاحب الزمـان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذه البرامج المتمثّلة في الأدعية والزيارات تهدف إلى شـدّ الشـيعة إلى قيادتهم المعصـومة الغائبة التي ينتظرونها، ويتمنّون نصـرتها وفداءها بأغلى ما يملكون من أرواح وأموال.

ويشـير دعاء الندبة إلى العلاقة التي تربط الشـيعة بإمامهم من خلال بيان امتـداد أهداف الإمـام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى جذور التاريخ منـذ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسـى، وعيسـى عليهم السلام، ومحمد صلى الله عليه وآله، فيأتي هذا الدعـاء على ذِكرهم جميعًا.

فالإمام هـو الذي يحقّق الله على يديه حلم الأنبياء في إقامة الحكم العادل، وهو الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا جورًا.

ثمَّ يصـوّر الدعاء لقطات من عصـر الظهور: «متى ترانا ونراك وقد نشرت لـواء النصـر، ترى أترانا نحفّ بـك وأنت تؤمّ الملأ وقد ملئـت الأرض عدلًا، وأذقـت أعـداءك هوانًا وعقابًا، وأبـرتَ العتاة وجَحَدَة الحـقّ، وقطعت دابر المتكبّرين، واجتثثت أصول الظالمين، ونحن نقول الحمد لله رب العالمين».[٢]

١- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ٢٨٩.

٢- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ٦١٢.

ويتعرّض الدعاء لما وقع على أهل البيت عليهم السلام بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله من مآسٍ ومصائب، ويبيّن مدى حرمان الأمّة من القيادة المعصومة: «أين الحسن؟

أين الحسين؟

أين أبناء الحسين؟

صالح بعد صالح، وصادق بعد صادق ...».[١]

ويثير التحسّر على غياب القيادة الإلهية عن الأعين مع وجودها وتأثيرها، ومتابعتها لما يحدث لشيعتها: «بنفسي أنت من مغيَّبٍ لم يخلُ منّا، بنفسي أنت من نازحٍ ما نزح عنّا».[٢]

كما يحتوي الدعاء على طلب من العبد إلى ربّه بتضرّع وخشوع لرؤية سيّده ومولاه الغائب المنتظر: «فأغث يا غياث المستغيثين، عُبيدك المبتلى، وأره سيّده يا شديد القوى، وأزل عنه به الأسى والجوى، وبرِّد غليله يا من على العرش استوى».

ويشعر قارئ الدعاء بأصالة تلك القيادة التي يتّبعها، وأنها فعلًا هي الثقل الثاني الذي أوصى به الرسول صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين عليهم السلام، وأنَّ

١- المصدر السابق، ص ٦١٠.

٢- المصدر السابق، ص ٦١٢.

الإمـــام عليه السلام هـو الامتداد الرسـالي لتلك الرسـالة الإلهيـة التي حملها الأنبياء عليهم السلام على مرّ الدهور: «يا ابن الآيات والبيِّنات.

يا ابن الدلائل الظاهرات.

يا ابن البراهين الواضحات الباهرات.

يا ابن الحجج البالغات.

يا ابن طه والمحكمات.

يا ابن يس والذاريات.

يا ابن الطور والعاديات.

يا ابن مَن دنا، فتدلّى، فكان قاب قوسين أو أدنى ...».[١]

ويتضـمّن الدعاء عبـارات تجعل الإمام الواسـطة والفيض الذي يتوسّـل به المؤمن إلى الله: «اللهمَّ، اجعلْ صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة، ودعاءنا به مسـتجابًا، واجعل أرزاقنا به مبسـوطةً، وهمومنا به مكفيّة، وحوائجنا به مقضيّة ...».[٢]

أهل البيت عليهم السلام يريدون من شـيعتهم أنْ لا يحرموا أنفسـهم من التواصـل الروحـي مع إمامهم المغيَّـب، وأن يلتزمـوا بالدعاء له والتهيئـة لظهوره من خلال إصلاح أنفسهم والآخرين.

١- المصدر السابق، ص ٦١١.

٢- المصدر السابق ص ٦١٣.

ويكفي فائدةً لمَن يدعو للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف أن الإمام يدعو له أيضًا!

ويا لها من صفقةٍ رابحةٍ وفرصةٍ رائعةٍ، وهي أن خير من على وجه الأرض يدعو لي إذا دعوتُ له.

ولسنا هنا بصدد ذِكر جميع فوائد الدعاء للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فجزى الله آية الله السيد محمد تقي الموسوي الأصفهاني خيرًا حيث ألَّف كتابًا أسماه «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم».

فمَن أراد أن يتوسّع فعليه بمراجعته.

ونحن هنا نريد أن نشدّ على أيدي أولئك الذين يحرمون أنفسهم من النوم في صباح يوم الجمعة، ويتجمّعون في المساجد والحسينيات؛ لكي يحافظوا على الارتباط بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من خلال قراءة دعاء الندبة.

ومن الحريّ بالإنسان أن يداوم على الدعاء بعد الصلوات الواجبة والمستحبة، وأن يهدي الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف صلواته وصدقاته وخيراته، وأن يحجّ ويعتمر نيابةً عنه، فكل ذلك من شأنه أن يوثّق علاقته بالإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الخاتمة

ما وَصَلنا من نصوص أدعية أهل البيت عليهم السلام يعتبر كنزًا تراثيًّا ثمينًا، يحتوي على منظومة متكاملة تنظِّم علاقة الإنسان بربه، وتثريه بزخم روحي دفَّاق، وبحرارة لا يبرد وهجها، فمع أننا نقرأ دعاء كميل في كلِّ أسبوع، وأدعية الأيام في كلِّ يوم، نجد أنَّ روحنا تحتاجها كما يحتاج جسمنا للغذاء، وتساهم هذه الأدعية المأثورة في تأصيل العقيدة الإسلامية المتمثلة بحقيقة عبودية الإنسان لله العظيم، واتباعه لأنبيائه ورسله وأوليائه عليهم السلام، وتخرجه من ضيق أفق الدنيا إلى سعة أفق الآخرة وما أعدَّ الله فيها للمتقين من رضوان ونعيم، وللفجَّار من غضبٍ وجحيم، وتجعله يعيش مشاهد فظيعة من يوم القيامة، وما يمرُّ به هذا الإنسان من سكرات الموت، وفراق الأحبَّة؛ كي لا ينسى هادم اللَّذات، وهذا الأمر يساهم في إبعاده عن الغفلة، وإزالة الحجب والرَّين عن قلبه، ويحثُّه على الصبر على المصيبة، والصبر عن المعصية، والصبر على الطاعة، والتي بها يتمكَّن من بناء شخصيته بناءً رصينًا يحقِّق هدف وجوده في هذا العالم كما أراد خالقه عزَّ وجلَّ.

كما يساهم الدعاء في تنظيم علاقة الإنسان بوالديه، وأسرته، وأهله، وأولاده، وأحبائه، وأصدقائه، وأعدائه، وبيئته، ويجعله في الموقع الإيجابي الذي ينال به رضا الله تعالى، ويزوده بالروافد التي تُغني روحه كتلاوة

القرآن، والصَّلاة، وسائر العبادات، ويحثه على الورع في المعاملات، والبعد عن الشبهات، ويستثير طاقته الجبارة، ويحثه على العمل والجد والاجتهاد، والاستفادة من القدرات العقلية والمالية والجسمية، وينبِّهه إلى استثمار فرصة الحياة بأقصى ما يملك من قوة وجهد ومال ووقت، بحيث يسير سيرًا تكامليًّا يوصله إلى محطة الإنسان الكامل، أو العصمة الاكتسابية من خلال التخلص من السلبيات والمعاصي والسيئات، «اللَّهمَّ، لا تَدع خصلة تُعاب منِّي إلا أصلحتها»[١]، وكذلك من خلال التركيز على الإيجابيات والطاعات والحسنات، «ولا أكرومة في ناقصة إلا تمَّمتها»[٢]، فالإمام زين العابدين لا يكتفي بوجود الأكرومة، وإنما يريدها تامَّة، وفي أحسن أوجهها.

وفي الدعاء تذكير للإنسان بالألطاف الإلهية، والمواهب الربانية، التي بدأت بإعطائه فرصة الوجود بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، وما هيَّأه الله تعالى له من عطف الآباء والأمَّهات، وما دفعه عنه من البلايا والمهلكات، ولذلك نقرأ من الأدعية ما يحثنا على أن نكون في حالة استنفار دائمة بالتعلق بالتوبة والاستغفار، واتخاذ القرارات الصائبة بعيدًا عن ضغط النفس الأمَّارة بالسوء، وإلحاح الشهوة، ويدعوه لتحكيم العقل واتباع السنن والأوامر الإلهية، والبعد عن السيئات، وهذا الأمر كفيل بتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية عندما يكون المجتمع متَّبِعًا لهذه التعاليم الأخلاقية الراقية.

١- الصحيفة السجادية، ص ٩٧.

٢- المصدر السابق.

إذًا، الدُّعاء ليس طقوسًـا روحية جوفاء، وإنَّما هـو طاقةٌ روحيةٌ جبَّارة تعمل على بناء الإنسـان، وتسـير به نحو التكامل بما يعمُر به دنياه وآخرته، ويوفر الدعاء للإنسـان حياة مطمئنة مسـتقرة من خلال إرضـاء ضميره، وتلذذه بذكر الله تعالى.

وذكر الله شرفٌ للذاكرين، وشكره فوزٌ للشاكرين، وطاعته نجاةٌ للمطيعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة: للسيد ابن طاوس، علي بن موسى (ت٦٦٤هـ)، تحقيق جواد قيومي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- الأمالي: للشيخ الطوسي(ت٤٦٠ هـ)، المعروف بشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، قم المقدسة.
- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة إحياء التراث العربي.
- تاريخ بغداد، تاريخ مدينة السلام: للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد، نشر دار الغرب، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- الخصال: للشيخ الصدوق (ت٣٨١)، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق علي أكبر غفاري، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- دلائل الإمامة: للطبري الآملي الصغير، محمد بن جرير بن رستم الإمامي (القرن الخامس)، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة الإسلامية – قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الشيرازي، نشر دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٢م.
- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة دار إحياء التراث العربي.
- الصحيفة السجّادية: الإمام علي بن الحسين زين العابدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ٢٠٠٢م.

- عيون أخبار الرضا : للشيخ الصدوق (ت٣٨١) ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، نشر دار العلم للنشر جهان، ١٣٧٨هـ [جزءان في مجلد].
- عيون الحكم والمواعظ: الليثي الواسطي، علي بن محمد (القرن السادس)، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث – قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- الكافي (الأصول والفروع): لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَيْني الرّازي(ت٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ [٨ مج = ٢ أصول + ٥ فروع +١ الروضة].
- لسان العرب: ابن منظور الأفريقي المصري، نشر أدب الحوزة: قم، ١٤٠٥هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م.
- مختصر الميزان في تفسير القرآن: سليم الحسني، انتشارات اللوح المحفوظ: قم، ٢٠٠٣م.
- المسند: لأحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، مصورة دار الفكر عن الطبعة الميمنية ١٣١٣هـ [٦ مج رحلي].
- مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: للشيخ الطوسي (ت٤٦٠ هـ)، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن، تحقيق علي أصغر مروارید، نشر مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت ١٤١١هـ.
- معاني الأخبار: للشيخ الصدوق (ت٣٨١)؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.
- مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمّي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م.
- مفتاح الفلاح: للشيخ بهاء الدين العاملي (ت١٠١٣هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ.
- كتاب من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر جماعة المدرسين – قم المقدسة [٤ مج].
- نهج البلاغة، خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع الشريف الرضي.